**- إيمانيات الحاج**

* **لبيك اللهم لبيك**

**إن الحياة الطيبة هي التي يعيشها العبد طائعاً لمولاه، يجيب داعي الله كلما ناداه، كثير الانطراح بين يدي الله، ما ألذها من حياة، كلها تعبد وافتقار، كلها توحيد للواحد للقهار، كلها تعظيم للملك الجبار، حياة جميلة شعارها هو قول الله جل في علاه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (سورة الذاريات :56)، فلا يترك أهل هذه الحياة الطيبة أمراً من أوامر الله إلا امتثلوه، ولا نهياً مما نهى عنه إلا اجتنبوه، فهم دائمو الاستجابة لنداء لله سبحانه؛ لأنهم يعلمون علم اليقين أن حياتهم لا تصلح إلا بطاعة الله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (سورة النحل:97)، فالحياة الحقيقة التي يهنأ بها صاحبها هي التي حفت بالاستجابة لله، والانقياد له: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (سورة الأنفال:24).**

**ومن النداءات التي أمر الله عز وجل أن ينادى بها أولياؤه النداء العظيم الذي فيه تتجلى صور التوحيد لرب العبيد، وتبرز معاني الانقياد لإله العباد، وترى معالم الذل والانكسار بين يدي الواحد القهار.**

**إنه نداء الحج: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (سورة الحـج:27-28).**

**نداء يسمعه أهل الإيمان فتطير قلوبهم، نداء تهفو إليه أرواح الصالحين، نداء لا يعذر أحد بترك الاستجابة إلا من عذره الله من فوق سبع سماوات، نداء يمضي إلى إجابته من أراد الآخرة، وسعى لها سعيها، وبذل ما يستطيع لأجلها، فالقلب، واللسان، النفس، والجوارح وكل ذرات البدن تعترف بربها وتقر بعبوديته، وتعترف بقوته، وتخضع لجبروته بحداء: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .. لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك، والخير في يديك لبيك، والرغباء إليك والعمل .. لبيك إله الحق لبيك ..**

**ولا يلبي المسلم بمفرده، بل يشارك معه الحجر والشجر: وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ (سورة الإسراء:44)، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من ملب يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر، أو شجر، أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا [1].**

**إلهنا ما أَعدلكْ \*\*\* مليك كلِّ من ملكْ .. لبيَّك قد لبيتُ لك \*\*\* لبيّك إنَّ الحمدَ لك**

**والملكَ لا شريك لك \*\*\* والليلَ لما أن حلكَ .. والسابحاتِ في الفلك \*\*\* على مجاري المُنْسَلَك**

**ما خاب عَبدٌ أمَّلك \*\*\* أنت له حيث سلك .. لولاك يا ربِّ هلك \*\*\* كلُّ نبيّ وملَك**

**وكلُّ من أهلّ لك \*\*\* سبّح أو لبَّى فلَك .. والحمد والنعمة لك \*\*\* والعزَّ لا شريك لك**

**نداء تتفجر منه ينابيع التوحيد، يقول جابر رضي اللَّه عنه: ' فأهلّ بالتوحيد: لبيك اللَّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك' رواه مسلم (2137).**

**نعم إنها كلمات كلها توحيد، ففيها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) حروفاً ومعنى، ففي التلبية توحيد الألوهية (لا شريك لك) فلا شريك له في كل العبادات، وفي التلبية توحيد الربوبية (لك والملك)، وتوحيد الأسماء والصفات (إن الحمد والنعمة) فالحمد وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم، والنعمة: أي الإنعام، فالنعمة للَّه، وهى من صفات الأفعال.**

**التلبية بالتوحيد سعياً إلى المحبوب، وبذل المستطاع للقائه، واستجابة لندائه، يقول السعدي رحمه الله: 'ولهذا قال جابر رضي الله عنه: فأهل بالتوحيد؛ لأن قول الملبي: (لبيك اللهم لبيك) التزام لعبودية ربه، وتكرير لهذا الالتزام بطمأنينة نفس، وانشراح صدر، ثم إثبات جميع المحامد وأنواع الثناء، والملك العظيم لله تعالى، ونفي الشريك عنه في ألوهيته وربوبيته وحمده وملكه هذا حقيقة التوحيد، وهو حقيقة المحبة؛ لأنه استزارة المحب لأحبابه، وإيفادهم إليه ليحظوا بالوصول إلى بيته، ويتمتعوا بالتنوع في عبوديته والذل له والانكسار بين يديه، وسؤالهم جميع مطالبهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية في تلك المشاعر العظام والمواقف الكرام؛ ليجزل لهم من قِراه وكرمه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وليحط عنهم خطاياهم ويرجعهم كما ولدتهم أمهاتهم، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، ولتحقق محبتهم لربهم بإنفاق نفائس أموالهم، وبذل مهجهم بالوصول إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس'[2].**

**(لبيك اللهم لبيك) اعتراف من المخلوق للخالق بأنه مقيم على طاعته وعبادته، وتكريم من الله عز وجل لعباده الحجاج والمعتمرين حيث أنه سبحانه هو الذي دعاهم لبيته العتيق.**

**(لبيك اللهم لبيك) يرفع بها الرجال الأصوات؛ لتشترك في ترديدها جميع جوارح الجسم وكل ما فيه من ذرات.**

**(لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) تأمل فيها ابن القيم رحمه الله فقال إنها تتضمن أموراً كثيرة، نذكر منها: 'المحبة، ولا يقال لبيك إلا لمن تحبه وتعظمه، وتتضمن التزام دوام العبودية، وتتضمن الخضوع والذل, أي خضوعاً بعد خضوع, من قولهم: أنا ملب بين يديك, أي خاضع ذليل، وتتضمن الإخلاص، وتتضمن التقرب من الله، ومتضمنة لمفتاح الجنة وباب الإسلام الذي يدخل منه إليه, وهو كلمة الإخلاص والشهادة لله بأنه لا شريك له، ومشتملة على الحمد لله الذي هو من أحب ما يتقرب به العبد إلى الله, وأول من يدعى إلى الجنة أهله, وهو فاتحة الصلاة وخاتمتها، مشتملة على الاعتراف لله بالنعمة كلها، أي النعم كلها لك, وأنت موليها والمنعم بها، ومشتملة على الاعتراف بأن الملك كله لله وحده , فلا ملك على الحقيقة لغيره، ومتضمنة للرد على كل مبطل في صفات الله وتوحيده ...إلخ'[3].**

**اللهم وفقنا لإجابة نداءك، والوقوف يوم تباهي بأوليائك، واعتقنا اللهم من نارك .. آمين.**

* **مدرسة الحج**

**فقد خرجنا من مدرسة رمضان الإيمانية، والتي تعلمنا فيها كثيرًا من الصفات الحسنة، والأخلاق الإسلامية الرائعة، وتخلينا فيها عن كثير من الصفات الذميمة، والسلبيات المشينة، وها نحن اليوم نعيش مع مدرسة أخرى من مدارس الإيمان، لنتعرف فيها على بعض الأخلاق الرفيعة، والصفات الإيمانية النبيلة، تلك هي مدرسة الحج.**

**إن المسلم الكيس هو الذي يستفيد من هذه المدارس الإيمانية، فيزداد من الله قربا، فيحصل الخلال الحميدة، ويبتعد عن الصفات المشينة.**

**ومن هذه الدروس التي يتعلمها المسلم في هذه المدرسة الإيمانية ما يلي:**

**أولا: تجريد التوحيد لله وتحقيقه، وإفراده سبحانه بالعبادة والطاعة، والإخلاص له في ذلك، فكل مناسك الحج تعلمنا هذا الدرس، بداية من التجرد من لباسنا المعتاد عند الميقات، ولبسنا لملابس الإحرام، مروراً بالتلبية، ثم الطواف والسعي والوقوف بعرفة وعند المشعر الحرام ورمي الجمرات والتكبير والتهليل والتحميد ونحر الهدي والأضاحي ....**

**ثانيا: المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا عليه الصلاة والسلام لما حج كان مما أمرنا به وحثنا عليه المتابعة له، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لتأخذوا عني مناسككم) رواه مسلم (2286). وكأنه يقول لنا: حجوا كما حججت، ولبوا كما لبيت، وقفوا كما وقفت، وارموا كما رميت، وهكذا إلى أن تنتهوا من أعمال الحج ومناسكه.**

**لذلك فقد وعى هذا الدرس الصحابة وفهموه فهماً دقيقاً، فهذا عمر رضي الله عنه لما حج جاء إلى الحجر الأسود، وقبله، ثم قال: 'إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك' رواه البخاري (1494) واللفظ له، ومسلم (2228).**

**ثالثا: الاستجابة لأوامر الله ورسوله، والتسليم له سبحانه؛ يتجلى ذلك من خلال استجابة إبراهيم الخليل عليه السلام لأمر الله له بأن ينادي في الناس بالحج، حيث قال الله له: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (سورة الحـج(27).**

**وقد ذكر: 'المفسرون أنه لما أَمره ربه، أن يؤذن في الناس بالحج، قال: يا رب، كيف أبلغ الناس، وصوتي لا ينفذهم، فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه. وقيل: على الحجر. وقيل: على الصفا. وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت، حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: 'لبيك اللهم لبيك'[1].**

**يقول العلامة عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله: 'وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد صلى الله عليه وسلم، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه الناس رجالاً وركباناً من مشارق الأرض ومغاربها'[2].**

**لقد استجاب لهذه الدعوة الكون كله على مر العصور، وما زال الناس يأتون إلى بيت الله الحرام، مستجيبين لهذه، وسيستمرون في ذلك إلى ما يشاء الله.**

**رابعا: تقوى الله ومراقبته في السر والعلن، لذلك نجد في آيات الحج في سورة البقرة وفي سورة الحج، كثيرا ما يجمع الله بين شعائر الحج وبين تقواه ومراقبته، يقول الله تعالى: وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ (سورة البقرة (197)، ويقول أيضا: وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ إلى أن قال: لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (سورة البقرة:203). في هاتين الآيتين الإشارة إلى تقوى الله ومراقبته. وبقول سبحانه في سورة الحج ذلك ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ( سورة الحج 32 )**

**ودرس التقوى ليس مقصورا على عبادة الحج فقط، بل جميع العبادات شرعها الله لتحصيل التقوى؛ كما الصيام.. والصلاة.. والزكاة.. إلخ..**

**سادسا: الوحدة والاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله: الحج شعار الوحدة، فالحج يجعل الناس سواسية في لباسهم وأعمالهم وشعائرهم وقبلتهم وأماكنهم، فلا فضل لأحد على أحد: الملك والمملوك الغني والفقير الوجيه والحقير الكل في ميزان واحد.. الخ.**

**فالناس سواسية في الحقوق والواجبات، وهم سواسية في هذا البيت لا فضل للساكن فيه على الباد والمسافر فهم كلهم متساوون في البيت الحرام لا فرق بين الألوان والجنسيات وليس لأحد أن يفرق بينهم. وحدة في المشاعر ووحدة في الشعائر، وحدة في الهدف، وحدة في العمل، وحدة في القول: (الناس من آدم، وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).**

**أكثر من مليوني مسلم يقفون كلهم في موقف واحد، وبلباس واحد، لهدف واحد، وتحت شعار واحد، يدعون رباً واحداً، ويتبعون نبياً واحداً.. وأي وحدة أعظم من هذه.**

**سادسا: الانضباط، والوفاء بالموعد والعهود: إنك حين تتأمل المناسك ترى فيها دقة عجيبة, فأنت ترى المسلم يقف عند هذا المكان من حدود عرفة, فلو وقف هنا كان داخل عرفة, ولو تأخر متراً واحداً كان خارج عرفة, ولو وقف هنا نائماً أو صامتا لصح حجه, ولو وقف هناك وصار يدعو ويتضرع لم يصح حجه, ما الفرق بين هذا المكان وذاك؟ تراه يرمي الجمرة الأولى قبل الثانية, وبعدها العقبة، ولو رمى تلك قبل هذه لم تصح, تراه يبدأ من الصفا وينتهي بالمروة ولو عكس لم يصح له الأمر، هذا اليوم يقف في عرفة، وفي الليل يبيت في مزدلفة، وفي أيام التشريق يكون في منى ...... وهكذا في دفعه من عرفة وفي سائر المناسك تراها منضبطة بمكان أو وقت أو زمان أو هيئة معينة وهذا كله يربي في المسلم أن يكون منضبطاً في أوقاته وفي مواعيده'[3].**

**سابعا: اليسر والسهولة ورفع المشقة؛ جاء في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما وقف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه. قال: (فما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قدّم ولا أخّر إلا قال: افعل ولا حرج).**

**ونقصد باليسر والسهولة هنا المنضبطين بالضوابط الشرعية، وليس اليسر والسهولة ما يوافق أهواءنا ورغباتنا وأذواقنا وعادتنا.**

**ثامنا: الإكثار من الذكر والدعاء والاستغفار، وهذا درس واضح وجلي لكل من يتأمل في آيات الحج في سورتي الحج والبقرة، يقول الله تعالى: فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ \* ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا (سورة البقرة(198) (199) (200)، فهذه الآيات كلها تحثنا على الإكثار من الذكر والاستغفار.**

**وفي جانب الدعاء يخبرنا عليه الصلاة والسلام بأن خير الدعاء دعاء عرفة؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير [4].**

**تاسعا: التربية على الأخلاق الفاضلة، فالأخلاق الحسنة لها ارتباط وثيق بالعبادات، ولذلك كثيرا ما يقرن الله بين العبادات والأخلاق، فمثلا في الحج يقول الله تعالى: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ (سورة البقرة:197).**

**إنها دعوة إلى الابتعاد على الأخلاق السيئة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، كالحلم والعفو والصفح والتسامح والإيثار والرحمة والتعاون والإحسان والبذل والكرم والجود، ما أشبه ذلك.**

**عاشراً: المحاسبة والتوبة، فهذه المدرسة الربانية تربي الحاج على محاسبة نفسه، ذلك أن محاسبة النفس؛ طريقة المؤمنين، وسمة الموحدين، وعنوان الخاشعين، فالمؤمن متق لربه، محاسب لنفسه، مستغفر لذنبه، يعلم أن النفس خطرها عظيم، وداؤها وخيم، ومكرها كبير وشرها مستطير، فهي أمارة بالسوء ميالة إلى الهوى، داعية إلى الجهل، قائدة إلى الهلاك، توّاقة إلى اللهو إلا من رحم الله، فلا تُترك لهواها؛ لأنها داعية إلى الطغيان من أطاعها قادته إلى القبائح، ودعته إلى الرذائل، وخاضت به المكاره، تطلعاتها غريبة، وغوائلها عجيبة، ونزعاتها مخيفة، وشرورها كثيرة، فمن ترك سلطان النفس حتى طغى فإن له يوم القيامة مأوىً من جحيم: أما من طغى \* وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وعلى النقيض: وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى .**

**فالمؤمن يحاسب نفسه، كما يقول الحسن البصري رحمه الله: 'المؤمن قوّام على نفسه يحاسبها لله، وإنما خفّ الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة'[5].**

**ويقول أيضا: 'لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه: وماذا أردت تعملين؟ وماذا أردت تأكلين؟ وماذا أردت تشربين؟ والفاجر يمضي قدماً قدماً لا يحاسب نفسه'.**

**وقال مالك بن دينار: 'رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم زمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز و جل، فكان لها قائداً'[6].**

**فالحاج الصادق في توجهه عندما يستشعر عظم الزمان والمكان، ويرى بكاء الباكين، وابتهال العابدين، ودموع المنيبين؛ يدعوه ذلك كله إلى محاسبة نفسه على تفريطها في جنب الله، فيكون ذلك بداية توبته وأوبته إلى الله عز وجل، فما بالك إذا تذكّر ما يفيضه الله على عباده في منسك الحج من وابل الرحمات، وعظيم الهبات، وتكفير الخطايا والسيئات، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف، فسلما، ثم قالا: يا رسول الله جئنا نسألك، فقال: (إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت). فقالا: أخبرنا يا رسول الله! فقال الثقفي للأنصاري: سل. فقال: جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار وما لك فيه، وعن نحرك وما لك فيه، مع الإفاضة. فقال: والذي بعثك بالحق! لعنْ هذا جئت أسألك. قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام؛ لا تضع ناقتك خفاً، ولا ترفعه؛ إلا كتب (الله) لك به حسنة، ومحا عنك خطيئة. وأما ركعتاك بعد الطواف؛ كعتق رقبة من بني إسماعيل. وأما طوافك بالصفا والمروة؛ كعتق سبعين رقبة. وأما وقوفك عشية عرفة؛ فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاؤني شعثاً من كل فج عميق يرجون رحمتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر؛ لغفرتها، أفيضوا عبادي! مغفوراً لكم، ولمن شفعتم له. وأما رميك الجمار؛ فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات. وأما نحرك؛ فمدخور لك عند ربك. وأما حلاقك رأسك؛ فلك بكل شعره حلقتها حسنة، وتمحى عنك بها خطيئة. وأما طوافك بالبيت بعد ذلك؛ فإنك تطوف ولا ذنب لك يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك، فيقول: اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى)[7].**

**هذه بعض الدروس التي نستفيدها من هذه المدرسة الربانية، وكلما كان الإنسان أكثر استفادة من هذه المدرسة كلما كان أكثر تحقيقاً لمقصودها التي لأجلها شرعت، وكلما كان محققاً لهذه الغاية كلما كان أقرب من الله سبحانه وتعالى.**

**نسأل الله أن يرزقنا حجاً مبروراً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

* **الحج شعائر ومشاعر**

**يشعر المرء بالرهبة تلمس شغاف قلبه، والإجلال يحيط بروحه؛ حين يرى هذه المواكب العظيمة، والحشود المباركة التي اتحدت زماناً ومكاناً؛ ملبين دعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالحج؛ قد أناخوا المطايا، وتوجهوا إلى بيت الله العتيق، وكلهم شوق لرؤية بيت الله العظيم، يصطحبون معهم تعظيم حرمتها، وتبجيل هيبتها ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (سورة الحج:32).**

**ثم تنتقل تلك الأحاسيس إلى غبطة حين يرى المرءُ الحجاجَ قد بدأوا في التنقل من نسك إلى نسك، ومن بقعة إلى أخرى؛ رافعين لواء التوحيد، جاهرين بالتلبية: 'لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك'.**

**ومما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى إنما اختار مكة المكرمة تلك البلدة الطيبة الطاهرة ليشرفها بخصوصية لم تفز بشرفها أي بقعة في هذا العالم الفسيح، حيث جعلها مقراً لبيته الحرام، ومكاناً لالتقاء واجتماع المسلمين من كل بقاع الدنيا ممن منَّ الله عليهم فوهبهم القدرة على تلبية نداء الله عز وجل قال الله تعالى: إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إبْرَاهِيمَ ومَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ (آل عمران:96-97).**

**والطواف بالبيت شعيرة من الشعائر التي تستجم بها النفس وتزكو، كيف لا وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاستمتاع بها كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استمتعوا بهذا البيت فقد هُدِمَ مرتين، ويرفع في الثالثة [1].**

**وفي السعي بين الصفا والمروة سعيٌ إلى الله تعالى بالعمل الصالح، واستغاثة بالله أن يكشف الضر، وينزع البلاء، ألم تر إلى سعي هاجر أم إسماعيل عليها السلام حين أصابها الضر، وخافت على رضيعها أن يهلك؛ فتوجهت إلى الله تعالى مستغيثة موقنة أن الله لا يضيعها، فما هي إلا لحظات حتى انفرجت الكربة، وزال الهم، ونَبَعَ الماء، وانقلب الحال من حزن إلى سرور، ومن ضيق إلى سعة.**

**وفي عرفات الله تغفر الذنوب، وتعتق الرقاب، ويدنو الرب من عباده، ويباهي بهم ملائكته فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء رواه مسلم (3354)، فيا لله كم من عبد فيها يتوجع من ذنوب سلفت، وكم من نادم على عبادة تُركت، كم من عاصٍ قد لبس حداد الندم، وتحسر على ما حصل منه وقدّم، فهؤلاء عبادك يا رب قد اعترفوا بما اقترفوا، والجميع بين يديك يا رب وقفوا.**

**رفعـوا الأكف وأرسلوا الدعـوات وتجـردوا للـه في عرفــات**

**شـعثاً تجللهم سحــائب رحمـة غبراً يفيـض النور في القسمات**

**وكـأن أجنحـة الملائك عـانقت أرواحـهم بالبر والطـاعـات**

**فتنزلـت بين الضلـوع سكينــة علوية موصـولـة النفحـات**

**وتصـاعدت أنفــاسهم مشبـوبة وجـداً يسيل بواكـف العبرات**

**هذه ضيوفـك يـا إلهي تبتغــي عفواً وترجو ســابغ البركات**

**غُصَّـت بهم في حلـهم ورحيـلهم رحب الوهـاد وواسع الفلوات**

**تـركوا وراء ظهورهم دنـيا الورى وأتوك في شـوق وفي إخبـات**

**وفـدوا إلى أبواب جودك خُشَّعــاً وتزاحموا فـي مهبط الرحمـات**

**فاقـبل إله العرش كل ضراعــــة وامــح الذنوب وكفِّر الزلات[2]**

**ومن عرفة إلى مزدلفة تنساب جموع الحجيج بعد أن قضوا أوقاتاً عامرة بالذكر والطاعة، والابتهال والدعاء، مستجيبين لقوله تعالى: ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (سورة البقرة:199) قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: 'أي ثم أفيضوا من مزدلفة من حيث أفاض الناس من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفاً عندهم وهو رمي الجمار، وذبح الهدايا، والطواف، والسعي، والمبيت بمنى ليالي التشريق، وتكميل باقي المناسك.**

**ولما كانت هذه الإفاضة يقصد بها ما ذكر، والمذكوراتُ آخرُ المناسك؛ أمر الله تعالى عند الفراغ منها باستغفاره، والإكثار من ذكره؛ فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته، وتقصيره فيها، وذكرُ اللهِ شكرُ الله على إنعامه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة، والمنَّة الجسيمة، وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادة أن يستغفر عن التقصير، وأن يشكر على التوفيق، لا كمن يرى أنه أكمل العبادة، ومنَّ بها على ربه، وجعلت له محلاً ومنزلةً رفيعة؛ فهذا حقيق بالمقت، ورد الفعل، كما أن الأول حقيقٌ بالقبول والتوفيق لأعمال أُخَر'[3].**

**وفي شعيرة الرمي تتجلى الدلالة على بغض الشيطان، وإعلان العداوة له، مع الاقتداء بالخليل إبراهيم عليه السلام حين أراد إبليس أن يعترض طريقه حين لبى أمر الله عز وجل أن يذبح ولده، فرماه بسبع حصيات، ثم انطلق فاعترضه أخرى فرماه بسبع، ثم انطلق فاعترضه ثالثة فرماه، وأضجع ولده على جبينه، وأجرى السكين على عنقه فلم تقطع، وناداه الله بقوله: ونادينه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، أي امتثلت ما أمرك الله به، وعصيت الشيطان.**

**فيا حجاج بيت الله العتيق: ليكن حجكم أول فتوحكم، وتباشير فجركم، وإشراق صبحكم، وبداية مولدكم، وعنوان صدق إرادتكم.**

**تقبل الله حجكم وسعيكم، وأعاد الله علينا وعليكم هذه الأيام المباركة أعواماً عديدة، وأزمنة مديدة، والأمة الإسلامية في عزة وكرامة، ونصر وتمكين، ورفعة وسؤدد.**

* **دعاء ومناجاة**

**يجدر بالمسلم حين يشعر برقة في قلبه أن يستغل الفرصة في اللجوء إلى الله تعالى، والانطراح بين يديه، علَّه سبحانه أن ينظر إليه فيرحمه، ويستجيب له فيقضي حاجته، وربما كانت تلك فرصته الوحيدة.**

**ورحلةٌ مثل رحلة الحج هي من جملة تلك الفرص التي يرقُّ فيها القلب، وتزكو فيها النفس، ويصلح فيها القلب، وتكثر فيها أوقات الإجابة.**

**إنها رحلة إلى بيت الله العتيق، رحلة الافتقار إلى الله، رحلة التوحيد والدعاء والعتق من النار.**

**كم بتنا نشتكي الذنوب؟ ونبكي الهموم والغموم؟**

**كم نعاني من الديون؟ والله جل في علاه من فوق سبع سماوات يقول: أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (سورة النمل:62)، بل يخبر عباده أنه قريب من كل سائل، يتوب على كل تائب، ويجيب من دعاه، ويسمع من ناداه وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (سورة البقرة:186)؛ بل توعد من تكبر عن الخضوع له، واستكبر عن سؤاله ومناداته فقال تعالى: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (سورة غافر:60).**

**وما من عبد إلا له حاجة عند ربه، فهو في كل حين يرجو أن يستجيب دُعاءه، ويقضي مراده، فيتلبس بلباس الذل بين يدي ربه، ويتغطى بشعار الخضوع بين يدي خالقه، يشكو إليه همه، ويستغفره من ذنبه، وكله افتقار إلى مولاه الذي أمر عباده بالدعاء كي يصلح أحواله، وتزكو نفسه، وكأن لسان حاله يقول: إلهي**

**أزل عني الهموم وكل غـم وفرِّج كربة القلب الشجـي**

**ويسِّر ما تعسَّر من أمـوري وثبتني على الديـن السـوي**

**وسهِّل كل صعب لي وحقق مرادي في الصباح وفي العشي**

**وثبتني على التقـوى جهاراً وسراً طول عمري يا ولـيي**

**ورحلة الحج من أولها إلى آخرها فرصة للدعاء والابتهال إلى الله تعالى؛ إذ يجتمع للحاج من دواعي الإجابة ما لا يجتمع في غيرها من شرف الزمان والمكان، وحال الداعي وتلبسه بتلك الشعيرة العظيمة، مع كثرة المواضع التي يُشرع فيها الدعاء، وتُرجى فيها الإجابة: كالطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، وعند المشعر الحرام، وبعد رمي الجمرة الصغرى، وبعد رمي الجمرة الوسطى؛ وكلها مواضع دعاء، ومظان إجابة.**

**ثم أن الحاج مسافر، والمسافر مستجاب الدعوة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده [1]، بل خصَّ الحاج باستجابة الدعاء كما في الحديث: الغازي في سبيل الله، والحاج والمعتمر؛ وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم [2]..**

**إن الحاج عندما يرى نفسه قد ترك أهله وماله، وفارق الناس راحلاً إلى ربه سبحانه؛ لا يملك إلا أن يزداد قرباً من الله تعالى، وافتقاراً إليه، فيدعو ربه كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم، يدعوه عند الصفا والمروة، ويدعوه في موقف الحج الأكبر يوم عرفة حين يباهي الله بعباده ملائكته كما جاء في الحديث: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء رواه مسلم (2402).**

**فيدنو به الجبـار جل جلاله يباهي بهم أملاكه فهو أكرم**

**يقول عبادي قد أتوني محبـة وإني بهم بـرٌ أجود وأرحم**

**وأشهدكم أني غفرت ذنوبهم وأعطيتهم ما أمَّلـوه وأُنعم**

**فبشراكم يا أهل ذا الموقف الذي به يغفـر الله الذنوب ويرحمُ**

**ويستمر الدعاء عند المشعر الحرام في مزدلفة، وبعد رمي الجمرة الصغرى، والوسطى، وعند ماء زمزم، وغيرها من أوقات الإجابة الدائمة التي يعيشها الحاج كأوقات السحر، وبين الأذان والإقامة.**

**إنها حياة قلب يمنُّ الله بها على من يشاء من عباده، حياة كلها خشوع ودعاء، وخضوع وبكاء، والله يقبل توبة التائبين، ويسمع أنين المستغفرين، ويكشف كرب المكروبين، ويرفع البلاء عن المبتلين؛ ولا يضيع أجر المحسنين**

**إلهي لئن جلّـــت وجمّت خطيئتي فعفّوك عـن ذنّبي أجلّ وأوسعُ**

**إلهي ترى حـــالي وفقري وفاقتي وأنت منــاجاتي الخفّية تسّمعُ**

**إلهي أجــــرني من عذابك إنّني أسيـر ذليل خائف لك أخضعُ**

**إلهي ذنوبي جـازت الطـوُد واعتلت وصفحك عن ذنبي أجلُ وأوسعُ**

**ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، والحمد لله رب العالمين.**

* **رباه فاقبلني**

**يجدر بالمسلم حين يشعر برقة في قلبه أن يستغل الفرصة في اللجوء إلى الله تعالى، والانطراح بين يديه، علَّه سبحانه أن ينظر إليه فيرحمه، ويستجيب له فيقضي حاجته، وربما كانت تلك فرصته الوحيدة.**

**ورحلةٌ مثل رحلة الحج هي من جملة تلك الفرص التي يرقُّ فيها القلب، وتزكو فيها النفس، ويصلح فيها القلب، وتكثر فيها أوقات الإجابة.**

**إنها رحلة إلى بيت الله العتيق، رحلة الافتقار إلى الله، رحلة التوحيد والدعاء والعتق من النار.**

**كم بتنا نشتكي الذنوب؟ ونبكي الهموم والغموم؟**

**كم نعاني من الديون؟ والله جل في علاه من فوق سبع سماوات يقول: أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (سورة النمل:62)، بل يخبر عباده أنه قريب من كل سائل، يتوب على كل تائب، ويجيب من دعاه، ويسمع من ناداه وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (سورة البقرة:186)؛ بل توعد من تكبر عن الخضوع له، واستكبر عن سؤاله ومناداته فقال تعالى: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (سورة غافر:60).**

**وما من عبد إلا له حاجة عند ربه، فهو في كل حين يرجو أن يستجيب دُعاءه، ويقضي مراده، فيتلبس بلباس الذل بين يدي ربه، ويتغطى بشعار الخضوع بين يدي خالقه، يشكو إليه همه، ويستغفره من ذنبه، وكله افتقار إلى مولاه الذي أمر عباده بالدعاء كي يصلح أحواله، وتزكو نفسه، وكأن لسان حاله يقول: إلهي**

**أزل عني الهموم وكل غـم وفرِّج كربة القلب الشجـي**

**ويسِّر ما تعسَّر من أمـوري وثبتني على الديـن السـوي**

**وسهِّل كل صعب لي وحقق مرادي في الصباح وفي العشي**

**وثبتني على التقـوى جهاراً وسراً طول عمري يا ولـيي**

**ورحلة الحج من أولها إلى آخرها فرصة للدعاء والابتهال إلى الله تعالى؛ إذ يجتمع للحاج من دواعي الإجابة ما لا يجتمع في غيرها من شرف الزمان والمكان، وحال الداعي وتلبسه بتلك الشعيرة العظيمة، مع كثرة المواضع التي يُشرع فيها الدعاء، وتُرجى فيها الإجابة: كالطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، وعند المشعر الحرام، وبعد رمي الجمرة الصغرى، وبعد رمي الجمرة الوسطى؛ وكلها مواضع دعاء، ومظان إجابة.**

**ثم أن الحاج مسافر، والمسافر مستجاب الدعوة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده [1]، بل خصَّ الحاج باستجابة الدعاء كما في الحديث: الغازي في سبيل الله، والحاج والمعتمر؛ وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم [2]..**

**إن الحاج عندما يرى نفسه قد ترك أهله وماله، وفارق الناس راحلاً إلى ربه سبحانه؛ لا يملك إلا أن يزداد قرباً من الله تعالى، وافتقاراً إليه، فيدعو ربه كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم، يدعوه عند الصفا والمروة، ويدعوه في موقف الحج الأكبر يوم عرفة حين يباهي الله بعباده ملائكته كما جاء في الحديث: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء رواه مسلم (2402).**

**فيدنو به الجبـار جل جلاله يباهي بهم أملاكه فهو أكرم**

**يقول عبادي قد أتوني محبـة وإني بهم بـرٌ أجود وأرحم**

**وأشهدكم أني غفرت ذنوبهم وأعطيتهم ما أمَّلـوه وأُنعم**

**فبشراكم يا أهل ذا الموقف الذي به يغفـر الله الذنوب ويرحمُ**

**ويستمر الدعاء عند المشعر الحرام في مزدلفة، وبعد رمي الجمرة الصغرى، والوسطى، وعند ماء زمزم، وغيرها من أوقات الإجابة الدائمة التي يعيشها الحاج كأوقات السحر، وبين الأذان والإقامة.**

**إنها حياة قلب يمنُّ الله بها على من يشاء من عباده، حياة كلها خشوع ودعاء، وخضوع وبكاء، والله يقبل توبة التائبين، ويسمع أنين المستغفرين، ويكشف كرب المكروبين، ويرفع البلاء عن المبتلين؛ ولا يضيع أجر المحسنين**

**إلهي لئن جلّـــت وجمّت خطيئتي فعفّوك عـن ذنّبي أجلّ وأوسعُ**

**إلهي ترى حـــالي وفقري وفاقتي وأنت منــاجاتي الخفّية تسّمعُ**

**إلهي أجــــرني من عذابك إنّني أسيـر ذليل خائف لك أخضعُ**

**إلهي ذنوبي جـازت الطـوُد واعتلت وصفحك عن ذنبي أجلُ وأوسعُ**

**ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، والحمد لله رب العالمين.**

* **في رحاب البيت العتيق**

**حدد الله عز وجل حين خلق الثقلين أنه خلقهم لغاية عظيمة، وهدف سامٍ فقال سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (سورة الذاريات:56)، وكيف لا تمتثل هاتين الفئتين ما في الآية الكريمة، وذلك الهدف النبيل؛ وكل ما في الكون ممتثل لهما تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً (سورة الإسراء:44).**

**فالعبادة تجعل العبد على دوام صلة بربه تبارك وتعالى، وتحقق في النفس البشرية التقوى على مدار اليوم، وفي مواسم الخير التي تمر على العبد، فهذه الصلاة مثلاً هي صلة المخلوق بالخالق، والزكاة نماء وبركة، والصوم مطهرة للعبد من الذنوب والآثام، والحج إتمام الفرائض التي افترضها الله عز وجل.**

**إلا أن للحج ميزة خاصة، ولون مختلف، فحين يصل المرء إلى البلد الحرام يشعر بمشاعر الحب، والشوق، والانجذاب إلى هذا البلد، بل يشعر بسعادة لا تضاهيها سعادة حين يصل إلى حرم الله الذي فيه الكعبة المشرفة، والحجر الأسود، ومقام إبراهيم، وبئر زمزم، والمسعى ...إلخ، وفوق هذا كله يرى أصنافاً من الناس أتت إلى هذا البيت ملبية مستجيبة، يعلوها الخشوع، نفوسهم هائمة، وقلوبهم مشتاقة، وعيونهم فائضة من الدمع؛ حباً لله، واشتياقاً للقرب منه في بلده الحرام، وجوار البيت العتيق الذي شرَّفه الله عز وجل، وأعلى قدره، وجعله مهوى قلوب وأفئدة المسلمين أجمعين، ومنع كل من تسول نفسه من أن يمسه بسوء، فقال تعالى يضرب لنا مثالاً على ذلك: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ \* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ \* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ \* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ \* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (سورة الفيل)، وأرشد إلى أن هذا البيت معمور بطيِّب فلا يخالطه غث الأموال المشبوهة، ولذا فإن قريش حين اجتمعت لبنيان الكعبة، وإعادة بنائها بعد أن تهدمت جدرانها، واحتاجت للترميم؛ 'قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً؛ فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش: لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس'[1].**

**وهذا الحفظ من المولى تبارك وتعالى، مع الأمر بالتوجه إليه عند العبادة؛ يجعل حياة المسلم كلها موصولة بهذا البيت، فهو على مدار يومه وليلته متوجه إليه، ليعني فيما يعني ذلك أن يتخلَّص العبد من كل ما هو معبود من دون الله عز وجل، ومن كل المغريات المادية والمعنوية، وينطلق إلى أداء الرسالة التي بُنِيَ عليها البيت من أول يوم وضع للناس.**

**وهنا في رحاب البيت الحرام، وعلى مقربة منه؛ تنزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، بآيات بينات: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (سورة العلق:1)؛ فيعود المرء بمخيلته إلى تلك اللحظة التي سطع فيها هذا النور، فيدرك أن الإسلام كان المرحلة الفاصلة بين العلم والجهل، وبين الضلال والضياع، وبين الإيمان واليقين، ويدرك أيضاً أن العلم مفتاح هذا الدين، فيعتصر قلبه أسى وحسرة بسبب نسبة الجهل والأمية في عالم المسلمين اليوم؛ إذ هي الأعلى في العالم، ذلك أن أمة اقرأ أصبحت اليوم لا تقرأ.**

**وإذا نظر المسلم إلى الكعبة التي جُعلت مثابة للناس وأمناً؛ لمح فيها تاريخ النبوة، وأدرك من خلالها الآيات البينات، وأبصر السيرة الشريفة، وكيف أن هذا البيت الذي بني على التوحيد؛ ترجمت النبوة الخاتمة فيه معاني التوحيد إلى واقع الناس، وأعلنت وحدتهم العملية، ويتراءى له بلال رضي الله عنه يصعد الكعبة بساقيه السوداوين ليعلن نداء التوحيد والمساواة، وتتعاظم مكانته ليقف عزيزاً على سطح الكعبة، ويصبح سيداً، لأن المبدأ أن الإنسان المؤمن أكرم من كل شيء.**

**والمسلم في رحلة الحج يهتز كيانه وهو يبكي على ما أسلفه من ذنوب وتفريط في جنب الله؛ وتعلو همته ومعنوياته ويعظم رجاؤه، وهو يتنقل بين المشاعر ، ويقف عند الملتزم باكياً راجياً، يرجو موعود ربه الذي بلغه نبيه من حج لله فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه رواه البخاري (1449).**

**في رحاب البيت الحرام ينظر ويتأمل، نظر عبادة وتفكّر؛ فيجول في خياله وذاكرته ذلك المشهد العجيب وكأنه يسمع قول قريش وهي حول الكعبة، جاء الأمين ، جاء الأمين . فيتذكر حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء إعادة بناء الكعبة، ووضع الحجر، وكذا يتذكر حكمته في الدعوة، وأخذ الناس بأحكام الإسلام شيئاً فشيئاً، ويستمع إلى حديثه العظيم في قولته لعائشة: لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت البيت، وأقمته على قواعد إبراهيم المستدرك (1764)، فيدرك كيف استطاع أن يتدثر بالحكمة في كل شأنه لأنه يعلم أن تغيير النفوس لا يكون بتحطيم الرؤوس، ولقد كان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن، ويطوف البيت الحرام؛ والأصنام تملأ ساحاته لم يمسها بأذى، حتى انتهى الأمر بها إلى أن كسّرها عبّادها بأيديهم بعد أن آمنوا.**

**ويتأمل المسلم في الكعبة تأمل عبادة فيستثير في نفسه الكثير والكثير من المعاني الغائبة، ويتذكر ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الصبر والمصابرة، وما كان عليه المسلمون من الاستعجال، والرغبة في النصر السريع، والضيق بالمعاناة الشديدة، وكيف أنهم لم يدركوا تماماً أن مع العسر يسراً، وأن العسر والشدة هي مقدمات النصر.**

**فعند هذا المكان كان الرسول صلى الله عليه وسلم متوسداً بردته في ظلها، فجاءه المسلمون يقولون: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون رواه البخاري (6544) . فيتعلم المسلم من رحلة الحج فن الصبر، ويدرك أبعاده وآماده، وأعماله المطلوبة، ويدرك خطورة الاستعجال، وخطورة التحول من تغيير النفوس إلى محاولة الإطاحة بالخصوم.**

**يدرك المسلم في جنبات هذا البيت كيف أن البعض من الصحابة رضي الله عنهم سمعوا آيات الله تتلى وهم أهل الفصاحة والبيان، ومع ذلك لم يؤمنوا لسنوات من السماع طويلة، ثم ما لبثوا أن آمنوا، وكانوا عدة الإسلام، ورجاله العظام؛ فيعيد حساباته من جديد، ويدرك أن عملية التربية والتحويل الثقافي، وتغيير النفوس هي من الصناعات الثقيلة التي تقتضي الكثير من الصبر، والاحتساب، والمصابرة؛ حتى تنضج الثمار، وأي استنهاض للنبتة قبل أوانها يعني قطعها والقضاء عليها، فيتعلم من الحج فن الصبر، والاحتمال في سبيل الله، وأن لكل أجل كتاب[2].**

**وفي رحاب البيت العتيق يصبح كل من فيه على مضمار سباق إلى الله عز وجل، الجميع يريد الوصول إلى الله، والجميع يرجو ربه تبارك وتعالى في دوحة الخير، وشجرة البركة، ومنزل المنح الربانية، إنها مشاهد جليلة، وحكم ربانية، وأسرار إلهية جعلها الله عز وجل لهذا المكان المبارك.**

**إنها أيام ممتعة، وأوقات مباركة، ومغفرة من الله عز وجل.**

**نسأل الله عز وجل أن يهدينا سواء السبيل إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.**

* **رحلة ملبي**

**الحج ركن من أركان الإسلام، وشعيرة من شعائره العظام؛ دعا إليه رب العالمين، وحثَّ عليه عباده المؤمنين، وأمر نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس به يأتون من كل فج عميق وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (سورة الحـج : 27) ، فما هو إلا أن سمعوا النداء حتى تفتحت له أسماعهم، وارتاحت له قلوبهم، فصاروا له مجيبين، ولداعيه ملبِّـين، قطعوا الوهاد، وساروا الفيافي، وجاوزوا النجاد، محبة ومرضاة لرب العباد، ساروا إلى الله ملبين، ولرحمته راجين، خرجوا وما للدنيا خرجوا، خرجوا وهم برحمة الله طامعين، وبجوده وإحسانه وعظيم كرمه آملين.**

**والحاج يخرج حين يخرج من بيته مفارقاً للأهل والأحباب، تاركاً وراءه المال والمتاع، مُقْبلاً على الله بقلب خاشع، ولسان ذاكر، غاية همِّه أن يصل إلى الله بقلبه، فيرجع من الحج بذنب مغفور، وحج مبرور، وتجارة رابحة لن تبور.**

**وحين يلبس المحرم لباس الإحرام يرى أول هالات الروحانية من الإخلاص لله وحده، والتجرد لفاطر السماوات والأرض من خلال نداء التوحيد 'لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك'، فيتذكر لقاء الله عز وجل، ورحلته إلى الدار الآخرة.**

**وبمجرد دخول هذا المحرم إلى البلد الأمين يجد قوافل الإيمان التي جاءت تطلب العفو والمغفرة من الله تعالى، هتافهم تسبيح، ونداؤهم تلبية، ودعاؤهم تهليل، ومشيهم عبادة، وزحفهم صلاة، وسفرهم هجرة إلى ربهم، وغايتهم مغفرة من الله ورضوان، مجتمعين على كلمته، متأملين لبيته، مظهرهم كأنهم بنيان مرصوص، تركوا البلاد والديار، والأهل والأولاد، والتجارة والأعمال، قاصدين بيت الله الحرام، يعيشون في رحابه، وينعمون بقدسيته، متشرفين بضيافته، متلمسين لرحمته، مستهدفين المغفرة، مستمطرين الرضوان كما قال ربهم: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً (سورة البقرة:125).**

**وهاهي جموع الحجيج تشخص أبصارهم إلى كعبة الله المشرفة، بناء عظيم راسخ، تكسوها الهيبة والعظمة، الجباه نحوها ساجدة امتثالاً لأمر الله عز وجل، والأبدان حولها تطوف تعظيماً لشعائر الله تعالى، يقفون أمام رب لا تُغلق رحابه، ولا تُسد أبوابه، لا يخيِّب سائلاً، ولا يردُّ طالباً، فهو الحليم الذي لا يعجل، والكريم الذي لا يبخل، وفي ميدان هذا البيت يتجلى الدين في أروع صورة وأبدع مظهر.**

**وفي عرفات لا يقع البصر على مكان إلا ويرى عابداً يتبتل، أو مذنباً يتوجع، أو مؤمناً يخشع، أو مصلياً يركع، أو عاصياً ذا عين تدمع، فكأنه بحيرة قدسية تغسل الآثام، وتمسح الخطايا، وتمحو السيئات.**

**وعند رمي الجمرات يتجلى الانقياد والطاعة والامتثال في أبهى صورة، ويتذكر العبد ما حصل لإبراهيم عليه السلام حين أمر الله نبيه إبراهيم أن يذبح ولده، فسعى هذا النبي الكريم إلى تنفيذ ذلك؛ وحينها اعترضه الشيطان ووسوس له بألا ينفذ، فرماه بسبع حصيات، ثم انطلق، فاعترضه أخرى فرماه بسبع، ثم انطلق، فاعترضه ثالثة فرماه، وأضجع ولده على جبينه، وأجرى السكين على عنقه فلم تقطع، وناداه الله بقوله: وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (سورة الصافات:104-105) أي امتثلت ما أمرك الله به، وعصيت الشيطان.**

**وفي الرمي إرغام للشيطان، وإغاظة له؛ فإنه يغتاظ حين يرى الناس يرجمون المكان الذي اعترض فيه خليل الله إبراهيم عليه السلام.**

**فيا من وفقك الله إلى حج بيته العتيق: لقد فتحت في حياتك صفحة بيضاء نقية، ولبست بعد حجِّك ثياباً طاهرة نقية، فحذار حذار من العودة إلى الأفعال المخزية، والمسالك المردية، والأعمال الشائنة، فما أحسن الحسنة تتبعها الحسنة، وما أقبح السيئة بعد الحسنة، وما أجمل أن يعود الحاج بعد حجه إلى أهله ووطنه بالخلق الأكمل، والعقل الأرزن، والوقار الأرصن، والعرض الأصون، والشيم المرضية، والسجايا الكريمة.**

**ما أجمل أن يعود الحاج حَسَنَ المعاملة لأهله، كريم المعاشرة لأولاده، طاهر الفؤاد، ناهجاً منهج الحق والعدل والسداد، المضمر منه خير من المظهر، والخافي أجمل من البادي، طاهر السريرة، وصاحب عبادة كثيرة، فذاك هو الموفق عند الله تعالى .. نعم إنه الموفق.**

**نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من الموفقين المقبولين.**

* **هنا تسكب العبرات**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:**

**فإن الله سبحانه تعالى فضَّل مكة على سائر البلاد، وأنزل ذكرها في كتابه العزيز في مواضع عدَّة، واختص حرَمَهُ بفضائل عظيمة فقال تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(آل عمران:96-97).**

**وإلى أرض مكة أرض السلام، وقبلة الأنام؛ يفدُّ المحبُّون، ويتجه المصلون، ويقصد المهللون وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (الحج:27) يقول ابن القيم رحمه الله: 'ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها وهي البلد الحرام، فإنه سبحانه وتعالى اختاره لنبيه صلى الله عليه وسلم، وجعله مناسكاً لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين، متذللين كاشفي رؤوسهم، متجردين عن لباس أهل الدنيا...' 1 .**

**وفي أرض الحرم تضاعف الحسنات، وتغفر السيئات، وتسكب العبرات؛ أليس هو الموضع الذي بكى فيه الأنبياء والصالحون، روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: 'استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجرَ، واستلمه، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، فالتفت فإذا عمر يبكي، فقال: يا عمر ها هنا تسكب العبرات)) وهو حديث ضعيف 2 ،**

**أليست أرض مكة هي حيث وقف الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وقفات يدعو ربه، ويبتهل إليه؛ قال ابن القيم رحمه الله: 'تضمنت حجته صلى الله عليه وسلم ست وقفات للدعاء:**

**الموقف الأول: على الصفا.**

**والثاني: على المروة.**

**والثالث: بعرفة.**

**والرابع: بمزدلفة.**

**والخامس: عند الجمرة الأولى.**

**والسادس: عند الجمرة الثانية' 3 .**

**وكان للسلف الصالح رحمهم الله حين يصلون إلى بيت الله أحوال وعبادات واجتهادات تتعجب منها العقول، وتصغر أمامها الهمم؛ لاسيما أثناء حجهم.**

**قال ضمرة بن ربيعة: 'حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة فما رأيته مضطجعاً في المحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب' 4 .**

**وقال أبو الفرج الاسفراييني: 'كان الخطيب البغدادي معنا في الحج، فكان يختم كل يوم ختمة قراءة ترتيل، ثم يجتمع الناس عليه وهو راكب يقولون حدثنا، فيحدثهم' 5 .**

**وقال محمد بن سوقة عن أبيه 'أنه حج مع الأسود؛ فكان إذا حضرت الصلاة أناخ ولو على حجر، قَالَ: وَحَجَّ نيفاً وَسبعينَ' 6**

**وعن العلاء بن هارون قال: 'سمعته يقول: حج مسروق فما افترش إلا جبهته حتى انصرف ...' 7 .**

**وقال محمد بن إسحاق: 'قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجاً، فاعتلَّت إحدى قدميه، فقام يصلي حتى أصبح على قدم، فصلى الفجر بوضوء العشاء' 8 .**

**وعن إبراهيم قال: 'كانوا يحبون إذا دخلوا مكة أن لا يخرجوا حتى يختموا بها القرآن (يعني بمكة)'، وقال: 'قرأ علقمة القرآن في ليلة بمكة بالبيت سبعاً، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين، ثم طاف سبعاً، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثاني، ثم طاف سبعاً ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن'، وعن الحسن قال: 'كان يعجبهم إذا قدموا للحج أو العمرة أن لا يخرجوا حتى يقرؤوا ما معهم من القرآن' 9 .**

**ومع شدة اجتهادهم وعبادتهم فلم تكن تفارقهم خشيتهم لربهم، ولا سكبهم لعبراتهم فعن سفيان قال: 'حج علي بن الحسين فلما أحرم اصفر وانتفض، ولم يستطع أن يلبي، فقيل: ألا تلبي؟ قال: أخشى أن أقول: لبيك، فيقول لي: لا لبيك، فلما لبى غُشي عليه، وسقط من راحلته' 10 .**

**وكان شريح إِذَا أحرم كأنه حية صماء 11 .**

**وقال عبد المجيد بن أبي رواد كانوا يطوفون بالبيت خاشعين ذاكرين كأن على رؤوسهم الطير وقع، يستبين لمن رآهم أنهم في نسك وعبادة، وكان طاوس رحمه الله ممن يُرى في ذلك النعت 12 .**

**'ونظر الفضيل بن عياض إلى تسبيح الناس وبكائهم يوم عرفة فقال: 'أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل يسألونه دانقاً (سدس درهم) أكان يردُّهم؟ فقيل: لا، فقال: والله المغفرة عند الله عز وجل أهون من إجابة رجل لهم بدانق' 13 .**

**بل الأعجب من ذلك ما حدَّث به أحمد بن أبي الحواري قال: 'سمعت أبا سليمان يقول: لما حج أويس دخل المدينة، فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم قال: فغُشي عليه، فلما أفاق قال: أخرجوني فليس بلادي بلداً محمد صلى الله عليه وسلم فيه مدفون' 14 .**

**هذه بعض العبرات والزفرات التي أُثِرَت عن السلف رحمهم الله أثناء حجهم لبيت الله الحرام، وحري بمن سمع فعلهم، أو بَلَغَهُ حالهم؛ أن يفعل كما فعلوا، وأن يقبل على ربه تعالى بأنواع العبادات القلبية والبدنية.**

**نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل من حجاج بيت الله الحرام حجهم، وأن يردَّهم إلى أهلهم سالمين غانمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

* **فلم يرفث ولم يفسق**

**الحج شعيرة من شعائر دين الإسلام الحنيف، وركن من أركانه العظام كما في حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ رواه البخاري برقم (8)؛ ومسلم برقم (16)، فعلم من خلال هذا الحديث أن الحج ركن من أركان الإسلام من أنكره كفر وخرج من الملة، وهذه العبادة لها وقت محدد جاء تعيينه في قوله تعالى: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ (سورة البقرة:197) فأما الرفث فهو الجماع ودواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك، وكذا التكلم به بحضرة النساء، وأما الفسوق: فهو إتيان المعاصي كبرت أم صغرت، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: 'وقوله فَلاَ رَفَثَ أي من أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرفث وهو الجماع كما قال تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ (سورة البقرة:187), وكذلك يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك, كذلك التكلم به بحضرة النساء قال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس: أن نافعاً أخبره أن عبد الله بن عمر كان يقول: الرفث إتيان النساء، والتكلم بذلك للرجال والنساء إذا ذكروا ذلك بأفواههم, قال ابن وهب: وأخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب مثله, وروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس أنه كان يحدو وهو محرم وهو يقول:**

**وهن يمشين بنا هميس إن يصدق الطير ننل لميسا**

**وقال أبو العالية: فقلت: تكلم بالرفث وأنت محرم؟ قال: إنما الرفث ما قيل عند النساء, وقال عبد الله بن طاوس عن أبيه: سألت ابن عباس عن قول الله عز وجل: فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ ؟ قال: الرفث التعريض بذكر الجماع, وهي العرابة في كلام العرب وهو أدنى الرفث, وقال عطاء بن أبي رباح: الرفث الجماع وما دونه من قول الفحش، وكذا قال عمرو بن دينار، وقال عطاء: كانوا يكرهون العرابة وهو التعريض وهو محرم، وقال طاوس: هو أن يقول للمرأة إذا حللت أصبتك وكذا، قال أبو العالية: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرفث غشيان النساء والقبلة والغمز، وأن يعرض لها بالفحش من الكلام ونحو ذلك, وقال ابن عباس أيضاً وابن عمر: الرفث غشيان النساء, وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وإبراهيم وأبو العالية عن عطاء ومكحول وعطاء الخراساني وعطاء بن يسار وعطية وإبراهيم النخعي والربيع والزهري والسدي ومالك بن أنس ومقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم'أ.ه 1 .**

**وفي الآية أيضاً دليل على أن للحج وقتاً معلوماً، وأن وقته أشهر معلومات هي: شوال، وذو القعدة، والعشر الأوائل من ذي الحجة، وعلى هذا فلا يصح الإحرام بالحج إلا في هذه الأشهر المعلومات, وتخصص هذه الأشهر المعلومات لأداء شعائر الحج في مواعيدها المعروفة، وعلى هذا عمل المسلمين.**

**وقد حدد النبي صلى الله عليه وآله وسلم جزاء من تجنب الرفث، والفسوق، والعصيان فقال في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ رواه البخاري برقم (1690) واللفظ له؛ ومسلم برقم (2404).**

**إلا أن الحج ليس أداء عبادة فقط؛ بل له شروط ومتطلبات قد تختلف بعض الشيء عن بقية العبادات، لأنه عبادة بدنية، ومالية، ووقتية محددة بوقت معين... الخ، وهذه العبادة (عبادة الحج) مبنية على الاستطاعة حتى تجب على مؤديها، ثم في وقت أدائها يجب على الحاج أداؤها حال الاستطاعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل: أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله ، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور رواه البخاري برقم (26), وفي هذا الحديث العظيم جملة من الفوائد نذكر منها:**

**1 أن الحج المبرور (وهو الذي عمل فيه الحاج الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات)؛ يكون جزاؤه الجنة.**

**2. وفيه أيضاً يحدد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصفة المطلوبة للحج وهي البر، والحج المبرور معناه ما ذُكِرَ في الآية: فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ، فإذا لم يخالطه رفث، أو فسوق، أو معصية؛ فهو الحج الذي حدد النبي - صلى الله عليه وسلم - جزاؤه فقال في الحديث الذي رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ رواه البخاري برقم (1650).**

**ونجد أن الله تعالى يحبب إليهم فعل الجميل بعد النهي عن فعل القبيح فيقول: وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ ، ويكفي في حس المؤمن أن يتذكر أن الله يعلم ما يفعله من خير، ويطلع عليه، ليكون هذا حافزاً على فعل الخير، ليراه الله منه ويعلمه، وهذا وحده جزاء قبل الجزاء، ثم يدعوهم إلى التزود في رحلة الحج: زاد الجسد، وزاد الروح وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ , فالتقوى زاد القلوب والأرواح ؛ منه تقتات، وبه تتقوى وترف وتشرق، وعليه تستند في الوصول والنجاة، وأولوا الألباب هم أول من يدرك التوجيه إلى التقوى، وخير من ينتفع بهذا الزاد.**

**وفي قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالْحَجّ الْمَبْرُور لَيْسَ لَهُ جَزَاء إِلَّا الْجَنَّة الْأَصَحّ الْأَشْهَر: أَنَّ الْمَبْرُور هُوَ الَّذِي لَا يُخَالِطهُ إِثْم، مَأْخُوذ مِنْ الْبِرّ وَهُوَ الطَّاعَة، وَقِيلَ: هُوَ الْمَقْبُول، وَمِنْ عَلَامَة الْقَبُول أَنْ يَرْجِع خَيْراً مِمَّا كَانَ، وَلَا يُعَاوِد الْمَعَاصِي، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا رِيَاء فِيهِ، وَقِيلَ: الَّذِي لَا يُعْقِبهُ مَعْصِيَة، وَهُمَا دَاخِلَانِ فِيمَا قَبْلهمَا، وَمَعْنَى لَيْسَ لَهُ جَزَاء إِلَّا الْجَنَّة : أَنَّهُ لَا يَقْتَصِر لِصَاحِبِهِ مِنْ الْجَزَاء عَلَى تَكْفِير بَعْض ذُنُوبه، بَلْ لَا بُدّ أَنْ يَدْخُل الْجَنَّة 2 ، والمراد بالحج الذي يكفِّر الذنوب هو الحج الذي وفيت أحكامه، فوقع لما طُلِبَ من المكلف على الوجه الأكمل.**

**والحج المبرور قد يكون أفضل من الجهاد في سبيل الله لما في الحديث عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ رواه البخاري برقم (1423)، فهو مكفر للذنوب والمعاصي لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص في قصة إسلام أبيه لما اشترط أن يغفر له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله رواه مسلم برقم (121).**

**فالحج من صالح الأعمال التي بها يتم تكفير السيئات (عدا الكبائر التي لا بد لها من توبة صادقة بشروط التوبة المعروفة) إذا أداه العبد على وجهه الشرعي. ولذا حرَّم الله عز وجل على الحاج الرفث والجدال في الحج أثناء تأدية المناسك؛ كونها ستحصل نتيجة الزحام غير العادي، والتقاء جنسيات مختلفة اللغة واللهجة والمظهر، والله سبحانه وتعالى يريد من الحجاج أن يكونوا في موسم الحج في جو أقرب شبهاً بالملائكة؛ لأن الله يباهي بهم الملائكة؛ فوجب عليهم أن يبتعدوا عن كل شهوة ومعصية وجدال، وأن يكون كل وقتهم ذكراً لله تعالى، وأن يتجردوا لله تبارك وتعالى في هذه الفترة، ويرتفعوا على دواعي الأرض، ويتعلقوا بالله تبارك وتعالى دون سواه، ويتأدبوا في بيته الحرام، فإذا ما انتهى الحاج من حجه بعد ذلك غُفِرَت جميع ذنوبه، ليتحقق بذلك قوله عليه الصلاة والسلام: مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ رواه البخاري برقم (1690) واللفظ له؛ ومسلم برقم (2404).**

**أخي الكريم: يا من أنعم الله عليك بالنعم فوفقك لزيارة بيت الله العتيق؛ اغتنم تلك الفرصة العظيمة في التزود لمرضاة الرحمن, والمسارعة في اغتنام الأوقات بجعلها في الطاعات, نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل من الحجاج والمعتمرين, وأن يوفقنا لزيارة هذا البيت العظيم؛ إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين .**

* **عَبرة في الحج**

**تهفو قلوب أهل الإيمان، وتشتاق نفوس عباد الرحمن؛ إلى حج بيت الله الحرام، ومزاحمة الأنام للوقوف بين يدي الملك العلَّام، حيث تُغفر الذنوب وتُمحى الآثام.**

**وكيف لا تفعل ذلك والبيت بيت الله الرحمن، والقدوم فيه على الرحيم المنان**

**إليك وإلا لا تشد الركائب ومنك وإلا فالمؤمل خائب**

**وفيك وإلا فالغرام مضيـع وعنك وإلا فالمحدث كاذب**

**كيف لا والنداء إلى الحج كان بأمر الله: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (سورة الحج:27)، نداء من الله وهو الغني الحميد: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (سورة فاطر:15)، فيا لله أي قلب هذا الذي يستطيع الإجابة ولا يجيب؟**

**في الحج ترحل القلوب قبل القوالب، والأفئدة قبل الأجساد، ترحل إلى عرفات والبيت العتيق، حيث تعتق الرقاب، وتجاب الدعوات، وتتطهر النفوس، وتصلح الأحوال، ترحل إلى المشعر الحرام حيث يُعَظَّم الرب العظيم، وإلى منى حيث التكبير والتهليل، حيث العبادة والنسك، حيث الليالي النيرات، والأيام المباركات، ترحل عن كل الخطيئات، وتبتعد عن زينة هذه الحياة لتعيش في كنف رب الأرض والسماوات**

**يا سائرين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا**

**إنا أقمنا على عذر وقد رحلوا ومن أقام على عذر كمن راحا**

**وفي الحج عبر أيما عبر، سالت عندها دمعات الصادقين، وجثت في ركابها أنات التائبين، وحلَّقت في سمائها نداءات السائلين:**

**- إنها تلك العبرة التي يلقاها الحاج وقد عزم على مفارقة الأهل والأحباب، وترك ما تهواه نفسه من عيش رغيد، عزم على الفراق ولا يدري أيعود أم لا يعود، أيرجع إلى محبيه أم يكتفي بالنظرات الأخيرة التي يتبادلها المحبون فيتذكر بها تلك الساعة الأولى في الرحلة الأخرى إلى الدار الآخرة، والتي لن يعود بعدها إلى دنياه فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ \* وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ \* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ \* فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ \* تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (سورة الواقعة:83-87).**

**- وعبرة أخرى حين يستشعر الحاج وهو يخلع ملابسه بيده ليرتدي ذلك الإحرام الأبيض فيتذكِّر رفيقه في قبره (الكفن) يوم تُخلع عنه ملابسه ليغسَّل، ويكفَّن، ويحنَّط.**

**- عبرة للنفس حين تجثو وهي تدخل بيت الله الحرام الذي جعله الله للناس قياماً، فتلمس تلك الهيبة العظيمة، وذلك المقام الكريم لتنادي كما نادى الخليل: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (سورة البقرة:127).**

**عبرة وعظة عند ذلك الموقف العظيم 'موقف عرفة' الذي لا حج إلا به، حين يقف فيه الحجيج كلهم: غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم، صغيرهم وكبيرهم، طائعهم وعاصيهم، السابق بالخيرات والمسرف على نفسه بالسيئات، كلهم واقف يرجو رحمة ربه، ويخشى عذابه، كلهم يهتف: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. ويتعرضون لنفحات الله، وعتقه، ويرجون أن يرجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم .**

**عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ )) رواه مسلم (2402).**

**إليك وجَّهت يا مولاي آمـــالي فاسمع دعائي وارحم ضعف أحوالي**

**أرجوك مولاي لا نفسي ولا ولـدي ولا صديقــي ولا أهلي ولا مالي**

**فلا تكلني إلى من ليس يكلـــؤني وكن كفيـلي فأنت الكافل الكالي**

**أنا الفقير إلى مولاي يرحمــــني إذا تــقـرع بهول الموت إمهالي**

**أنا الفقير إلى مولاي يرحمــــني في بطن لحــد وحيش مظلمٍ خالي**

**هناك لحمي لدود القبر فاكهـــةٌ والعظــم منّي رميم في الثرى بالي**

**أنا الفقير إلى مولاي يرحمــــني يـــوم القيامة من عنفٍ وأهوالي**

**أنا الفقير إلى مولاي يحشــــرني في زمــرة المصطفى المختار والآلي**

**- عبرة تحمل الحجيج وهم في سيرهم إلى المشعر الحرام، وفي تلك الشعاب؛ ليتذكروا يوم تحشر الخلائق إلى باريها: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ (سورة آل عمران:30).**

**- وأخرى في التأمل في ذلك الجمع الذي يلهج بالتهليل والتكبير، يملأ منى أرضاً وسماءً، تكبيراً لله المتعال الكبير.**

**- عبرات في كل لحظة يعيشها الحاج، يرق فيها قلبه، ويأنس فيها بذكر ربه، وهي إنما يعيشها مَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (سورة ق:37).**

**والحمد لله رب العالمين.**

**9-الحج والعمرة فضائل وأحكام**

* **فضل عشر ذي الحجة**

**مِن حكمة الله تبارك وتعالى ورحمته تفضيلُ بعض الأيام على بعض, وبعض الشهور على بعض, وبعض الأماكنِ على بعض؛ لتوفيرِ أسباب نيلِ البركات والخيرات، وجعلها فرصاً للتزود من الطاعات, والفوز بأعلى الدرجات, فلا يكاد ينتهي موسم طاعة إلا وجاء بعده آخر؛ تجديداً لنشاط الإنسان، وإبعاداً للملل، وها هو شهر رمضان ما كاد ينتهي حتى جاءت الست من شوال، ثم ها هي العشر من ذي الحجة، والحج إلى بيت الله الحرام, ثم يأتي عاشوراء، وهكذا.**

**وكلامنا في هذا المقام حول أفضل الأيام وهي العشر من ذي الحجة وأعمالها:**

**- فهذه العشر قد جمع الله تبارك وتعالى فيها أمهات العبادات من صلاة، وصيام، وحجّ، وصدقة.**

**- وفيها يُرفع علم التوحيد بالتكبير فيها والتلبية لمن كان حاجاً.**

**- والعمل في هذه العشر أفضل من العمل فيما سواها لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه , قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء رواه البخاري برقم (926)، وفي رواية أبي داود وغيره وصححه الألباني ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء . قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (2/460): 'وفي الحديث تعظيم قدر الجهاد، وتفاوت درجاته، وأن الغاية القصوى فيه بذل النفس لله، وفيه تفضيل بعض الأزمنة على بعض، كالأمكنة، وفضل أيام عشر ذي الحجة على غيرها من أيام السنة، وتظهر فائدة ذلك فيمن نذر الصيام، أو علَّق عملاً من الأعمال بأفضل الأيام، فلو أفرد يوماً منها تعين يوم عرفة، لأنه على الصحيح أفضل أيام العشر المذكور، فإن أراد أفضل أيام الأسبوع تعين يوم الجمعة', وعن جابر رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: من عُقر جواده، وأهريق دمه 1 .**

**- ومن فضلها أن الله تبارك وتعالى أقسم بها في كتابه الكريم فقال الله تبارك وتعالى: وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ سورة الفجر (12) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (1/651): 'المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف', ونقل البخاري رحمه الله في صحيحه (1/329) عن ابن عباس رضي الله عنهما تعليقاً أنه قال: واذكروا الله في أيام معلومات أيام العشر، والأيام المعدودات أيام التشريق, وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، وكبر محمد بن علي خلف النافلة', قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح (2/460): 'والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه وهي الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج, ولا يتأتى ذلك في غيره'.**

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (3/291): 'وبالجملة فهذا العشر قد قيل إنه أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث، وفضله كثير على عشر رمضان الأخير، لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه, وقيل: ذلك أفضل لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وتوسط آخرون فقالوا: أيام هذا أفضل، وليالي ذاك أفضل، وبهذا يجتمع شمل الأدلة' أ.هـ.**

**أيهما أفضل عشر ذي الحجة أو العشر الأواخر من رمضان؟**

**نترك الإجابة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فقد سُئل رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (25/154) عن عشر ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان، أيهما أفضل؟ فأجاب: أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة', وقال ابن القيم الجوزية رحمه الله في بدائع الفوائد (3/683): 'وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب وجده شافياً كافياً، فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة, وفيها يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم التروية, وأما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحييها كلها، وفيها ليلة خير من ألف شهر, فمن أجاب بغير هذا التفصيل لم يمكنه أن يدلي بحجة صحيحة' أ.هـ.**

**وقد دلّ حديث ابن عباس رضي الله عنه, وحديث جابر رضي الله عنه؛ على أن العمل الصالح في عشر ذي الحجة أحب إلى الله، وأفضل عنده من العمل نفسه لو عُمل في غيرها من الأيام، وأن العبادة فيها أزكى عند الله تبارك وتعالى وأعظم أجراً من نفس العبادة لو فُعِلت في غيرها من أيام العام، بل دلّت هذه الأحاديث على أن العمل فيها وإن كان مفضولاً؛ فإنه أعظم أجراً، وأزكى عند الله، وأحبّ إليه من العمل في غيرها وإن كان فاضلاً، ولا أدل على ذلك من كون العمل فيها أعظم من الجهاد في سبيل الله الذي يتضمن قطف الرؤوس، وإزهاق النفوس، وإسالة الدماء، والذي هو من أفضل الأعمال، وذروة سنام الإسلام, فالعمل في هذه العشر أفضل من سائر الأعمال في غيرها، وأفضل من أنواع الجهاد كلها إلا النوع الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم, وإذا كان الأمر كذلك، وعلمت أيها المسلم أن الله يحب العمل في هذه الأيام ويباركه ويزكيه؛ فعليك أن تجتهد في هذه الأيام، وتحرص على اغتنام كل لحظة من لحظاتها، وتعمّرها بأنواع الطاعات والقّربات التي تزيدك قرباً من ربك، وتكون سبباً لسعادتك ونجاتك في دنياك وآخرتك، فإن الأيام مراحل، وليس لك أيها الإنسان من عمرك إلا ما قضيته في طاعة ربك تبارك وتعالى، فإنك تجده أحوج ما تكون إليه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم قال الله: فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (سورة المؤمنون:102-103).**

**ومن الأعمال المباركة الفاضلة التي يندب إليها في هذه العشر:**

**الأول : أداء الحج والعمرة ، وهو أفضل ما يعمل ، ويدل على فضله عدة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة رواه البخاري. وغيره من الأحاديث الصحيحة .**

**الثاني : صيام هذه الأيام أو ما تيسر منها - وبالأخص يوم عرفة - ولاشك أن جنس الصيام من أفضل الأعمال وهو مما اصطفاه الله لنفسه ، كما في الحديث القدسي : الصوم لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي رواه البخاري. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله ، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً متفق عليه . وروى مسلم رحمه الله عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده .**

**الثالث : التكبير والذكر في هذه الأيام . لقوله تعالى : وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ وقد فسرت بأنها أيام العشر ، واستحب العلماء لذلك كثرة الذكر فيها لحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن أحمد رحمه الله وفيه : فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد . وذكر البخاري رحمه الله عن ابن عمر وعن أبي هريرة رضي الله عنهم انهما كانا يخرجان إلى السوق في العشر ، فيكبرون ويكبر الناس بتكبيرهم . وروى إسحاق رحمه الله عن فقهاء التابعين رحمة الله عليهم أنهم كانوا يقولون في أيام العشر : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد. ويستحب رفع الصوت بالتكبير في الأسواق والدور والطرق والمساجد وغيرها ، لقوله تعالى : وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ . ولا يجوز التكبير الجماعي وهو الذي يجتمع فيه جماعة على التلفظ بصوت واحد ، حيث لم ينقل ذلك عن السلف وإنما السنة أن يكبر كل واحد بمفرده ، وهذا في جميع الأذكار والأدعية إلا أن يكون جاهلاً فله أن يلقن من غيره حتى يتعلم ، ويجوز الذكر بما تيسر من أنواع التكبير والتحميد والتسبيح ،وسائر الأدعية المشروعة .**

**الرابع : التوبة والإقلاع عن المعاصي وجميع الذنوب ، حتى يترتب على الأعمال المغفرة والرحمة ، فالمعاصي سبب البعد والطرد ، والطاعات أسباب القرب والود ، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه متفق عليه.**

**الخامس : كثرة الأعمال الصالحة من نوافل العبادات كالصلاة والصدقة والجهاد والقراءة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك فإنها من الأعمال التي تضاعف في هذه الأيام .**

**السادس : يشرع في هذه الأيام التكبير المطلق في جميع الوقت من ليل أو نهار إلى صلاة العيد ويشرع التكبير المقيد وهو الذي بعد الصلوات المكتوبة التي تصلى في جماعة ، ويبدأ لغير الحاج من فجر يوم عرفة ، وللحجاج من ظهر يوم النحر ، ويستمر إلى صلاة العصر آخر أيام التشريق.**

**السابع : تشرع الأضحية في يوم النحر وأيام التشريق ، وهو سنة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين فدى الله ولده بذبح عظيم ، ( وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبّر ووضع رجله على صفاحهما ) متفق عليه.**

**الثامن : روى مسلم رحمه الله وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضّحي فليمسك عن شعره وأظفاره وفي رواية فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره حتى يضحي ولعل ذلك تشبهاً بمن يسوق الهدي ، فقد قال الله تعالى : وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ وهذا النهي ظاهره انه يخص صاحب الأضحية ولا يعم الزوجة ولا الأولاد إلا إذا كان لأحدهم أضحية تخصه ، ولا بأس بغسل الرأس ودلكه ولو سقط منه شيء من الشعر.**

**التاسع : على المسلم الحرص على أداء صلاة العيد حيث تصلى ، وحضور الخطبة والاستفادة . وعليه معرفة الحكمة من شرعية هذا العيد ، وأنه يوم شكر وعمل بر ، فلا يجعله يوم أشر وبطر ولا يجعله موسم معصية وتوسع في المحرمات كالأغاني والملاهي والمسكرات ونحوها مما قد يكون سبباً لحبوط الأعمال الصالحة التي عملها في أيام العشر.**

**العاشر : بعد ما مر بنا ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يستغل هذه الأيام بطاعة الله وذكره وشكره والقيام بالواجبات والابتعاد عن المنهيات واستغلال هذه المواسم والتعرض لنفحات الله ليحوز على رضا مولاه والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. 2**

* **فضل الحج والعمرة**

**بالهمة العالية، والعزيمة الصادقة، والإرادة القوية يعتلي المؤمن قمم المعالي، ويمتطي المكان العالي، وينال أعظم الكرامات، وأجل المكرمات، من سعادة في الدنيا، ونعيم في الجنات، وكيف لمؤمن أن يتأخر عن كل ذلك، وقد تجلت له الفضائل الكبيرة، والجوائز الباهرة؟**

**إن ما يجعله الله سبحانه وتعالى من الأجور العظيمة، والثواب الجزيل مما يجازي به أولياءه، وأهل طاعته لحري بكل مؤمن صادق في إيمانه أن ينطلق إليه مهرولاً: وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (سورة آل عمران:133)، سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (سورة الحديد:21).**

**ومن ذلك الفضل العظيم ما جعله الله تعالى لمن حج أو اعتمر، يوم أن يذهب ذلك الحاج وقد أثقلته الذنوب، فينتهي من حجه وهو نقي لا يحمل وزراً، طاهر لا يطوي شراً، بل يعود وقد كتب في صحائفه (كيوم ولدته أمه)..**

**تكفير السيئات، تكثير الحسنات، إجابة الدعوات، وغير ذلك من الخير والثواب يكتبه الله لمن شاء ممن حج أو اعتمر.**

**أليس من ذهب إلى الحج قد أجاب داعي الله؟ فالله تعالى يقول: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ (سورة الحـج:27-28)، وقال جل شأنه: وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (سورة آل عمران:97)، أليس الحج هو الذي فرضه الله عز وجل، وجعله أحد أركان الإسلام الخمسة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان رواه البخاري (7) بلفظه، ومسلم (21).**

**وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية الحج فقال: 'جماع معنى الحج في أصل اللغة قصد الشيء وإتيانه، ومنه سمي الطريق محجة؛ لأنه موضع الذهاب والمجيء، ويسمى ما يقصد الخصم حجة لأنه يأتمه وينتحيه، ومنه في الاشتقاق الأكبر الحاجة، وهو ما يقصد ويطلب للمنفعة به سواء قصده القاصد لمصلحته أو لمصلحة غيره... ثم غلب في الاستعمال الشرعي والعرفي على حج بيت الله سبحانه وتعالى، وإتيانه، فلا يفهم عند الإطلاق إلا هذا النوع الخاص من القصد؛ لأنه هو المشروع الموجود كثيراً'[1]، وأما العمرة فقد جاء في النهاية في غريب الأثر: 'العمرة: الزيارة، يقال: اعتمر فهو معتمر: أي زار وقصد، وهو في الشرع: زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة مذكورة في الفقه'[2].**

**وللحج والعمرة فضائل عديدة مذكورة بالأدلة الصحيحة، فمن ذلك:**

**1- من أفضل الأعمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: 'سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله ، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله ، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور 'رواه البخاري (1422) بلفظه، ومسلم (118)، وقال صلى الله عليه وسلم عندما سألته عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل؛ أفلا نجاهد؟ قال: لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور رواه البخاري (1423).**

**2- مغفرة الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه رواه البخاري (1690)، ومسلم (2404)، وقال عليه الصلاة والسلام: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما رواه البخاري (1650)، ومسلم (2403)، وقال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص رضي الله عنه: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله رواه مسلم (173).**

**3- الجنة جزاء الحج المبرور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة رواه البخاري (1650)، ومسلم (2403).**

**4- العتق من النار، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول ما أراد هؤلاء رواه مسلم (2402).**

**5- العمرة في رمضان تعدل الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي رواه البخاري (1730)، ومسلم (2202).**

**6- كما أن الحج والعمرة ينفيان الذنوب فإنهما أيضاً ينفيان الفقر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة [3].**

**7- مع محو السيئات، تكتب الحسنات، وترفع الدرجات، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ما ترفع إبل الحاج رجلاً ولا تضع يداً إلا كتب الله له بها حسنة، أو محا عنه سيئة، أو رفع بها درجة [4].**

**8- استجابة الدعاء، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الغازي في سبيل الله، والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم [5]، وقال صلى الله عليه وسلم: [6].**

**نسأل الله أن يتقبل منا الأعمال، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، ويرزقنا حج بيته الحرام، والحمد لله رب العالمين.**

* **فضل التلبية والتكبير**

**لبيك اللهم لبيك..لبيك لا شريك لك لبيك..إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك...**

**ما أروعها من كلمات..وما أعمقها من معان زاكيات..تخرج من القلب لتعلن الطاعة المطلقة، والاستجابة المتكررة لذي الجلال والإكرام..لبيك اللهم لبيك..أي استجبت لك يا الله استجابة بعد استجابة...**

**كأنا بهم قد سمعوا صدى ذلك النداء الخالد..والإعلام الجليل..والأذان الإبراهيمي الفريد: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (سورة الحـج: 27) فهبوا مجيبين ذلك النداء من كل حدب وصوب..يشدهم الحب ويحدوهم الشوق إلى البيت العتيق...**

**أيها المسلم الحبيب: إن ذكر الله تعالى هو من أعظم العبادات، وأشرف القربات..ويزيد شرفاً وفضلاً عندما يكون عند بيت الله الحرام..ذلك المكان الشريف..والبيت المهيب..**

**هذا وقد خصص الشارع الحكيم للحاج المسلم أذكاراً يرددها في حجه لبيت الله تعالى..من ذلك: التلبية للحج وفي الحج..كذلك يسن للحاج أن يكثر في حجه من التكبير والتهليل والتحميد..فما صفة هذه الأذكار؟ وأين يسن قولها وذكر الله تعالى بها؟**

**صفة التلبية، والتهليل والتكبير والتحميد:**

**صفة التلبية أن يقول القارن: لبيك عمرة وحجة، ويقول المفرد بالحج: لبيك حجًّا، ويقول المتمتع والمعتمر: لبيك عمرة. ثم يلبي بتلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ) ( رواه البخاري ومسلم ). ولا بأس في الزيادة على هذه التلبية، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر : ( أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمع الصحابة يقولون: لبيك ذا المعارج ) فلم يأمرهم بالتزام اللفظ الوارد، وجاء في بعض صيغ التلبية في السنن من حديث أنس ( لبيك حقاً حقاً، تعبداً ورقاً ) ، و ( لبيك إله الحق ) من حديث أبي هريرة .ولذلك قال جمهور العلماء بجواز الزيادة، وهو فعل السلف، وكان ابن عمر يقول: (لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل) . قال بعض العلماء:والأفضل أن يقتصر على الوارد؛ لأنه إذا اقتصر على الوارد أجر بأجرين: الأول: أجر التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، والثاني: أجر اللفظ الوارد.[1]**

**وأما صفة التكبير: فقد ورد في مصنف ابن أبي شيبة بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه : أنه كان يكبر أيام التشريق :' الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ' . ورواه ابن أبي شيبة مرة أخرى بالسند نفسه بتثليث التكبير .**

**وروى المحاملي بسند صحيح أيضاً عن ابن مسعود :' الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً الله أكبر وأجلّ ، الله أكبر ولله الحمد '.[2]**

**حكم التلبية:**

**' التلبية شعار المحرم، وهي مسنونة ومؤكدة ولا يجب بتركها شيء، وذهب بعضهم إلى أنها ركن من أركان الحج والعمرة، فطالما أحرم ولم يلبِ لم يصح إحرامه، وبعضهم جعلها واجبة فإذا لم يلبِ فعليه دم؛ لأنه ترك واجباً، ولكن أكثر الفقهاء على أنها سنة ولكنها تتأكد، فهي سنة مؤكدة'.[3]**

**قال الله تعالى: ' فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ...وقال طاوس، والقاسمُ بن محمد: هو التلبية'.[4]**

**'وقال ابن عباس: الإهلال، وعن عطاء وطاووس وعكرمة هو التلبية'.[5]**

**وعن خلاد بن السائب بن خلاد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتلبية رواه الترمذي(829) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم(1135).**

**فضل التلبية والتهليل والتكبير والتحميد:**

**لقد ورد في فضل التلبية أجور عظيمة عند الله تعالى، لا يكاد من يعلمها إلا ويبادر بالتلبية لاقتناص تلك الأجور العظيمة...**

**عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مسلم يلبي إلا لبى من عن يمينه أو عن شماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا رواه الترمذي(828)وصححه الألباني في المشكاة (2550).**

**وعن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي الحج أفضل؟ قال: العج والثج رواه الترمذي(757)وصححه الألباني في صحيح الترمذي(827).**

**'ومعنى العج: رفع الصوت بالتلبية. والثج: إسالة الدماء بالذبح والنحر...'[6]**

**وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد رواه أحمد (6154) وصححه شعيب الأرناؤوط.**

**مواضع التلبية:**

**' ويستحب البداية بها إذا استوى على راحلته؛ لما روى أنس وابن عمر أن النبي صلى الله عليه و سلم لما ركب راحلته واستوت به أهل - رواه البخاري (1471)-...ومعنى الإهلال رفع الصوت بالتلبية من قولهم: استهل الصبي إذا صاح، والأصل فيه أنهم كانوا إذا رئي الهلال صاحوا فيقال: استهل الهلال، ثم قيل لكل صائح: مستهل وإنما يرفع الصوت بالتلبية'.[7]**

**ذكر بعض العلماء للتلبية ' أحد عشر موضعاً تتأكد فيها:**

**الأول: إذا علا نشزاً. أي: إذا رقى مكاناً مرتفعاً لبى.**

**الثاني: إذا هبط وادياً. أي: منخفضاً.**

**الثالث: إذا صلى مكتوبة. أي: فريضة من الفرائض.**

**الرابع: إذا أقبل الليل.**

**الخامس: إذا أقبل النهار.**

**السادس: إذا التقت الرفاق، وكانوا يتلاقون في الطريق وهم يمشون أو ركباناً على الإبل.**

**السابع: إذا ركب دابته أو مركوبه.**

**الثامن: إذا نزل.**

**التاسع: إذا سمع من يلبي، فيجدد التلبية.**

**العاشر: إذا رأى البيت.**

**الحادي عشر: إذا فعل محظوراً وهو ناسٍ، كتغطية رأس، ولبس مخيط، ونحو ذلك'.[8]**

**التكبير أيام منى وإذا غدا إلى عرفة:**

**قال البخاري -رحمه الله-:' (12)-باب التكبير أيام منى وإذا غدا إلى عرفة:**

**وكان عمر رضي الله عنه يكبر في قبّته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج مِنى تكبيرا.**

**وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً، وكانت ميمونة -رضي الله عنها- تكبر يوم النحر، وكن النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد. أخرجه البخاري في صحيحه. وتخفض المرأة صوتها في حضرة الرجال الأجانب.**

**وأخرج البخاري بسنده أن محمد بن أبي بكر الثقفي قال: سألت أنس بن مالك ونحن غاديان من منى إلى عرفات عن التلبية: كيف كنتم تصنعون مع النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان يلبي الملبي لا ينكر عليه ويكبر المكبر فلا ينكر عليه'.البخاري (970).**

**'وقال المهلب: أيام منى هي أيام التشريق، وتأول العلماء فيها قوله تعالى: ولتكبروا الله على ما هداكم (البقرة : 185)ومعنى التكبير في هذا الفضل- والله أعلم-؛ لأنه تصل الذبائح لله تعالى، وكانت الجاهلية تذبح لطواغيتها ونُصُبِهَا، فجعل التكبير استشعارًا للذبح لله تعالى؛ حتى لا يذكر في أيام الذبح غيره...'.[9]**

**(التلبية الجماعية):**

**وجه سؤال لـ(اللجنة الدائمة بالمملكة)، يقول السؤال:**

**'ما حكم التلبية الجماعية للحجاج؟ حيث أحدهم يلبي والآخرين يتبعونه.**

**فكان جواب اللجنة: لا يجوز ذلك لعدم وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم، بل هو بدعة.**

**وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم'.[10]**

**(تلبية المرأة):**

**'(ولا ترفع المرأة صوتها بالتلبية إلا بقدر ما تسمع نفسها) قال ابن عبد البر: أجمع العلماء على أن السنة في المرأة أن لا ترفع صوتها وإنما عليها أن تسمع نفسها، وبهذا قال عطاء ومالك والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي، وروي عن سليمان بن يسار أنه قال: السنة عندهم أن المرأة لا ترفع صوتها بالإهلال وإنما كره لها رفع الصوت مخافة الفتنة بها ولهذا لا يسن لها أذان ولا إقامة'.[11]**

**والحمد لله رب العالمين**

* **التعجل إلى الحج والعمرة**

**أيها المسلم الحبيب:**

**ثبتت فرضية الحج في الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة:**

**أما الكتاب ففي قوله تعالى: وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (سورة آل عمران:97).**

**وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس: على أن يعبد الله ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان رواه البخاري (8)، ومسلم (122) واللفظ له.**

**وقوله عليه الصلاة والسلام: يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا رواه ابن جرير الطبري في تفسيره.**

**وأما الإجماع: فلأن الأمة أجمعت على فرضية الحج.[1]**

**لذا كان واجباً على كل مسلم ومسلمة توفرت فيه الشروط الشرعية المعروفة أن يتعجل لأداء هذه الفريضة العظيمة لأنه لا يدري ما قد يعرض له من أمور تعيقه عن أدائه، فقد جاء عن سعيد بن جبير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعجلوا إلى الحج (يعنى الفريضة) فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له [2].**

**من أجل هذا كان الكلام عن مسألة وجوب الحج: هل هو على الفور أم على التراخي؟**

**و'للعلماء في ذلك اتجاهان:**

**فقال أبو حنيفة ومالك في المشهور عنهما: هو على الفور.**

**وقال الشافعي: هو على التراخي.**

**وعن أحمد روايتان أظهرهما: أنه على الفور'[3]، ورجح ابن تيمية رحمه الله فوريته فقال: 'والحج واجب على الفور عند أكثر العلماء'[4]، ولما وجِّه للعلامة محمد بن عثيمين رحمه الله سؤال يقول: 'من المعلوم أن اختبارات بعض الجامعات بعد الحج مباشرة، فهل يجوز تأجيل الحج إلى العام القادم من أجل الاختبارات؟' كان جوابه: 'الحمد لله، القول الراجح من أقوال أهل العلم: أن الحج واجب على الفور، وأنه لا يجوز للإنسان أن يؤخره إلا لعذر شرعي، ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تأخر الصحابة عن التحلل في غزوة الحديبية غضب، ودليل آخر: أن الإنسان لا يدري ما يعرض له، فقد يؤخر الحج هذه السنة ثم يموت، ويبقى معلقاً، ولكن إذا كان حجه يؤثر عليه في الامتحان فله أن يؤخره إلى السنة القادمة، ولكني أشير عليه أن يأخذ دروسه معه ويحج، هذا إن كان يسافر إلى الحج مبكراً، أما إذا كان يتأخر في الحج فإني لا أظنه يضره، ومعلوم أن بإمكان الإنسان أن تكون أيام الحج التي يستغرقها أربعة أيام فقط، يذهب يوم عرفة فيمكث التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر، ويكون متعجلاً، يجوز إذا رمى في اليوم الثاني عشر بعد الزوال أن يخرج، ويطوف الوداع، ويمشي إلى أهله، فلا أظن أنها تضرُّ شيئاً، فالإنسان الحريص يمكنه أن يحج ولا يؤثر ذلك عليه شيئاً، كما أن الإنسان إذا اعتمد على الله، وتوكل عليه، وأتى بالحج واثقاً بالله عز وجل؛ فإن الله سييسر له الأمر'[5].**

**وبعد هذا أيها المسلم الحبيب يتبين لنا أن القول الراجح - والله أعلم - هو: أن من توفرت فيه شروط الحج، وكان مستطيعاً، ولم يكن قد حج حجة الإسلام؛ فإنه يجب عليه المبادرة إلى حج بيت الله تعالى؛ لأداء هذا الركن العظيم ليستكمل أركان دينه.**

**وليُعلم أن التفريط في ذلك ليس بالأمر الهين خاصة إذا علمنا ما كتبه الإمام ابن حجر الهيثمي رحمه الله في كتابه العظيم 'الزواجر عن اقتراف الكبائر' إذ يقول: 'الكبيرة الثامنة والأربعون بعد المائة: ترك الحج مع القدرة عليه إلى الموت:...**

**عن عمر رضي الله عنه قال: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جِدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين.**

**وجاء عن سعيد بن جبير - رحمه الله - قال: 'مات لي جار موسر لم يحج فلم أصل عليه'[6].**

**فاتق الله أيها المسلم يا من فتح الله عليك، ويسر لك من خزائنه ما لا يجد بعضه كثير من الناس؛ وبادر قبل أن تقول:**

**رَبِّ ارْجِعُونِ\* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (سورة المؤمنون:99-100).**

**والحمد لله رب العالمين.**

**10- الهدي والأضحية**

* **الهدي .. أنواعه وأحكامه**

**مفهوم الهدي:**

**الهدي لغة: ما أُهدي إلى مكة من النَّعَم وهو: من الإبل، والبقر، والغنم.**

**مفهوم الهدي:**

**الهدي لغة: ما أُهدي إلى مكة من النَّعَم وهو: من الإبل، والبقر، والغنم.**

**واصطلاحاً: هو ما ينقل للذبح من النعم إلى الحرم.[1]**

**وقيل: الهديُ هو ما يُهدَى تقرباً لله عز وجل إلى البيت الحرام من بهيمة الأنعام للنحر، أو الذبح داخل الحرم.[2]**

**أنواع الهدايا: عشرة أنواع:**

**النوع الأول: هدي المحصر: ويذبح في موضع الحصر على الصحيح قال الشيخ ابن باز رحمه الله: 'يذبح المحصر هديه في المكان الذي أحصر فيه سواء كان داخل الحرم أو خارجه، ويعطي للفقراء، فإن لم يكن هناك فقراء، وجب نقله إليهم'[3].**

**النوع الثاني: هدي التمتع والقران، وهو هدي نسك لا يذبح إلا في الحرم.**

**النوع الثالث: هدي جزاء الصيد.**

**النوع الرابع: هدي فدية الأذى.**

**النوع الخامس: ما وجب لترك واجب.**

**النوع السادس: هدي الإفساد وما في معناه أي إفساد الحج بالجماع.**

**النوع السابع: هدي الفوات وما في معناه.**

**النوع الثامن: الهدي المنذور في الذمة.**

**النوع التاسع: الهدي المعيَّن واجباً.**

**النوع العاشر: الهدي المعيَّن تطوعاً.**

**قال شيخ الإسلام: 'وهذه كلها لا تذبح إلا بالحرم، وكل ما ذبح بالحرم فإنه لا يفرق إلا في الحرم للمساكين الذين به من المستوطنين والمقيمين والواردين وغيرهم'[4].**

**الهدي المنصوص عليه في القرآن أربعة دماء:**

**الدم الأول: دم الإحصار المنصوص عليه في قول الله تعالى: فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ .**

**الدم الثاني: دم جزاء الجزاء المنصوص عليه بقوله تعالى: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ .**

**الدم الثالث: دم فدية الأذى المذكور في قوله تعالى: فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ .**

**الدم الرابع: دم هدي التمتع والقران قال تعالى: فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [5].**

**- الفرق بين هدي التمتع والقران، والهدي الواجب بفعل محظور أو ترك واجب:**

**'هدي التمتع والقران واجب وهو هدي شكر لله جل وعلا، وأما الآخر وهو الفِدْية في ترك واجب أو فعل محظور فهو هدي جُبْران.**

**فهدي الشكر لله جل وعلا له حكم الأضاحي ... يعني المتمتِّع له أن يأكل من هديه، وله أن يتصدق، وكذلك القارن له أن يأكل من هديه ويُهدي، وكذلك يجب عليه أن يتصدق بما يطعم به مسكيناً لقول الله جل وعلا: فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ ، وأما هدي الجبران فيعني الفدية من ترك واجباً من واجبات الحج فإنه يجبر بدم لقول ابن عباس: 'من ترك نسكاً فعليه دم'[6] فهذا دم جبران واجب لا يأكل منه ولا يهدي؛ بل يجب للمساكين لأنه دم جبران لا دم شكر'[7].**

**أحكام هدي التمتع والقران:**

**- شروط وجوب هدي المتمتع والقارن على النحو الآتي:**

**الشرط الأول: أن يعتمر في أشهر الحج، فإن اعتمر في غيرها لم يلزمه دم؛ لأنه لم يجمع بين النسكين في أشهر الحج، فلم يلزمه دم كالمفرد.**

**الشرط الثاني: أن يحج في نفس تلك السنة التي اعتمر في أشهر الحج منها، أما إذا كان حجه في سنة أخرى فلا دم عليه.**

**الشرط الثالث: أن لا يعود إلى بلده أو ما يماثله في المسافة، والأحوط أن يهدي حتى ولو رجع إلى بلاده أو سافر؛ لعدم صراحة الآية ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فإن منهم من قال: إن سافر بعد العمرة زال السبب فسقط الدم، ومنهم من قال: إن الإشارة راجعة إلى حكم التمتع وهو لزوم الدم.**

**فالأحوط الهدي مطلقاً وهو اختيار العلامة محمد الأمين الشنقيطي.[8]**

**الشرط الرابع: أن يكون من غير حاضري المسجد الحرام، فأما إن كان من حاضري المسجد الحرام فلا دم عليه لقول الله تعالى: ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قال الشنقيطي رحمه الله: 'وأظهر أقوال أهل العلم عندي في المراد بحاضري المسجد الحرام: أنهم أهل الحرم، ومن بينه وبينه مسافة لا تقصر فيها الصلاة، لأن المسجد الحرام قد يطلق كثيراً ويراد به الحرم كله، ومن على مسافة دون مسافة القصر'[9]، وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: 'اختلف أهل العلم في المعني بـ حاضري المسجد الحرام ، والراجح: أنهم أهل الحرم'[10].**

**الشرط الخامس: أن يحلَّ من العمرة قبل إحرامه بالحج، فإن أحرم بالحج قبل حلِّه منها صار قارناً كما وقع لعائشة رضي الله عنها في حجة الوداع على التحقيق، وعليه الهدي للقران أيضاً؛ لأنه تمتع.[11]**

**ما يجزي في هدي التمتع والقران:**

**قال الشنقيطي رحمه الله: 'أما ما يجزئ فيه فالتحقيق أنه ما تيسر من الهدي، وأقله شاة تجزئ ضحية، وأعلاه: بدنة، وأوسطه: بقرة، والتحقيق: أن سبع بدنة أو بقرة يكفي، فلو اشترك سبعة من المتمتعين في بدنة أو بقرة وذبحوها أجزأت عنهم للنصوص الصحيحة الدالة على ذلك كحديث جابر الثابت في الصحيح قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بدنة. رواه مسلم (1213)'[12]**

**- وقت ذبح الهدي:**

**أول وقت نحر الهدي: 'هو يوم النحر على الصحيح[13]، فلا يجوز نحر الهدي أو ذبحه قبل يوم النحر؛ لأدلة واضحة، وأحاديث كثيرة صحيحة صريحة تدل على أن أول وقت النحر هو يوم النحر؛ ومنها: لم ينحر النبي صلى الله عليه وسلم هديه إلا يوم النحر بعد رمي جمرة العقبة؛ فإنه كان قارناً صلى الله عليه وسلم ... وقد قال صلى الله عليه وسلم: لتأخذوا عني مناسككم رواه مسلم بنحوه (1297)... ولم ينحر عن أحد من أزواجه صلى الله عليه وسلم إلا بعد رمي جمرة العقبة، وهذا لا شك فيه ولا ريب، وقد كانت أزواجه كلهن متمتعات إلا ما كان من عائشة رضي الله عنها فإنها كانت قارنة... جرى عمل الخلفاء الراشدين، والمهاجرين، والأنصار، وجميع الصحابة كلهم أجمعوا على هذا، فلم ينقل عن واحد منهم: أنه نحر هدي تمتعه أو قرانه قبل يوم النحر البتة'[14].**

**قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: 'وبه تعلم أن ذبحه صلى الله عليه وسلم هديه يوم النحر وهو قارن، وذبحه عن أزواجه يوم النحر وهن متمتعات، وعن عائشة وهي قارنة؛ فعل مبين لنص واجب فهو واجب، ولا تجوز مخالفته في نوع الفعل، ولا في زمانه، ولا في مكانه إلا فيما أخرجه دليل خاص كغير المكان الذي ذبح فيه من منى، لأنه بيَّن أن منى كلها منحر، ولم يبين أن الزمن كله وقت نحر'[15].**

**وهذا هو اختيار الشيخ ابن باز رحمه الله حيث قال: 'من ذبح هديه قبل يوم النحر فإنه لا يجزئه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يذبحوا إلا أيام النحر، ولو كان الذبح جائزاً قبل يوم النحر لبيَّن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ولو بينه لنقله أصحابه رضي الله عنهم'[16]، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: 'والصحيح أنه يشترط الزمان، وأن هدي التمتع لا بد أن يكون في أيام الذبح يوم العيد، وثلاثة أيام بعده'[17].**

**آخر وقت نحر الهدي:**

**غروب شمس اليوم الثالث عشر من أيام التشريق على الصحيح، وهو اختيار الشيخ ابن باز رحمه الله حيث قال: 'يجوز تأخير ذبح الهدي إلى اليوم الثالث عشر؛ لأن أيام التشريق كلها أيام أكل وشرب وذبح، والأفضل تقديمه يوم العيد'[18]، وكذا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[19].**

**مكان ذبح الهدي:**

**موطن الذبح هو منى كلها فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم رواه مسلم (3011) قال الشيخ ابن باز رحمه الله: 'من ذبح هديه خارج الحرم كعرفات وجدة لم يجزئه ولو وزعه في الحرم، وعليه قضاؤه سواء كان عالماً أو جاهلاً'[20].**

**استحباب بعث الهدي وتقليده:**

**يستحب بعث الهدي إلى الحرم لمن لا يريد الذهاب بنفسه، وتقليده، وفتل القلائد، ولا يصير باعثه محرماً، ولا يحرم عليه شيء بذلك فعن عائشة رضي الله عنها قالت: 'كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهدي من المدينة، فأفتل قلائد هديه ثم لا يجتنب شيئاً مما يجتنبه المحرم' رواه البخاري (1698)، وعنها أيضاً قالت: 'فتلت قلائد هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أشعرها، وقلَّدها، أو قلدتها، ثم بعث بها إلى البيت، وأقام بالمدينة فما حرم عليه شيء كان له حل' رواه البخاري (1699).**

**استحباب إشعار الهدي:**

**يستحب إشعار الهدي من الإبل والبقر وهو أن يطعن في أحد جانبي سنام البعير حتى يسيل دمها ليعرف أنها هدى، والدليل على ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أشعر الهدي في السنام الأيمن، وأماط عنه الدم[21]، وأما الغنم فلا يشرع إشعارها قال ابن قدامة: 'وأما الغنم فلا يسن أشعارها لأنها ضعيفة، وصوفها وشعرها يستر موضع اشعارها'[22].**

**ما يفعل بالهدي إذا عطب في الطريق:**

**عن موسى بن سلمة الهذلي قال: 'انطلقت أنا وسنان بن سلمة معتمرين قال: وانطلق سنان معه ببدنة يسوقها، فأزحفت عليه بالطريق، فعيَّ بشأنها إن هي أبدعت كيف يأتي بها، فقال: لئن قدمت البلد لأستحفين عن ذلك، قال: فأضحيت، فلما نزلنا البطحاء قال: انطلق إلى ابن عباس نتحدث إليه، قال: فذكر له شأن بدنته فقال: على الخبير سقطت، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بست عشرة بدنة مع رجل، وأمره فيها، قال: فمضى ثم رجع فقال: يا رسول الله كيف أصنع بما أبدع علي منها؟ قال: انحرها، ثم أصبغ نعليها في دمها، ثم اجعله على صفحتها، ولا تأكل منها أنت ولا أحد من أهل رفقتك رواه مسلم (1325).**

**الأكل من الهدي:**

**قال العلامة الشنقيطي رحمه الله بعد ذكره للخلاف في هذه المسألة: 'الذي يرجحه الدليل في هذه المسألة: هو جواز الأكل من هدي التطوع وهدي التمتع والقران دون غير ذلك، والأكل من هدي التطوع لا خلاف فيه بين العلماء بعد بلوغه محله، وإنما خلافهم في استحباب الأكل منه، أو وجوبه، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في الأحاديث الصحيحة في حجة الوداع 'أنه أهدى مائة من الإبل'، ومعلوم أن ما زاد على الواحدة منها تطوع، وقد أكل منها وشرب من مرقها جميعاً، وأما الدليل على الأكل من هدي التمتع والقران فهو ما قدمنا مما ثبت في الصحيح أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ذبح عنهن صلى الله عليه وسلم بقراً، ودخل عليهن بلحمه وهن متمتعات، وعائشة منهن قارنة، وقد أكلن جميعاً مما ذبح عنهن في تمتعهن وقرانهن بأمره صلى الله عليه وسلم، وهو نص صحيح صريح في جواز الأكل من هدي التمتع والقران، أما غير ما ذكرنا من الدماء فلم يقم دليل يجب الرجوع إليه على الأكل منه، ولا يتحقق دخوله في عموم فَكُلُواْ مِنْهَا لأنه لترك واجب أو فعل محظور، فهو بالكفارات أشبه، وعدم الأكل منه أظهر وأحوط، والعلم عند الله تعالى'[23].**

**إخراج قيمة الهدي:**

**قال الشيخ ابن باز رحمه الله: 'لا يجوز إخراج قيمة الهدي، وإنما الواجب ذبحه، والقول بجواز إخراج القيمة تشريع جديد ومنكر قال تعالى: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ '[24]**

**شروط الهدي:**

**الشرط الأول: أن تكون ملكاً للمهدي أو مأذوناً له فيها من قبل الشرع أو من قبل المالك; فلا تصح بما لا يملكه كالمغصوب والمسروق، والمأخوذ بدعوى باطلة ونحوه, لأنه لا يجوز التقرب إلى الله بمعصيته.**

**الشرط الثاني: أن يكون الهدي من الجنس الذي عيَّنه الشارع وهو بهيمة الأنعام.**

**الشرط الثالث: أن يبلغ الهدي السن المعتبره شرعاً: وذلك بأن تكون جذعة من الضأن, أو ثنية من غيره لحديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن رواه مسلم (1963), والمسنة: الثنية فما فوقها, والجذعة: ما دون ذلك, فالثني من الإبل: ما له خمس سنين, والثني من البقر: ما له سنتان, والثني من الغنم ما له سنة, والجذع: ما له نصف سنة; فلا تصح التضحية بما دون الثني من الإبل والبقر والمعز، ولا بما دون الجذع من الضأن.**

**الشرط الرابع: أن تكون خالية من العيوب المانعة من الإجزاء: والعيوب المانعة هي أربعة كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدي أقصر من يده فقال: أربع لا يجزن: العوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن ظلعها، والكسيرة التي لا تنقى [25]، وذكر العلماء عيوباً أخرى منها ما هو أشد مما ذكر في الحديث كالعمياء ومقطوعة الرجل.**

**والله أعلم، الحمد لله رب العالمين.**

* **شروط البهيمة في الهدي والأضحية**

**يقصد بالهدي في الحج: ما يُهدى من الأنعام إلى الحرم تقرباً إلى الله تعالى قال - تعالى -: وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (سورة الحج:36)، وقد أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل, وأهدى مرة بغنم كما في حديث علي رضي الله عنه قال: 'أهدى النبي صلى الله عليه وسلم مائة بدنة، فأمرني بلحومها فقسمتها، ثم أمرني بجلالها فقسمتها، ثم بجلودها فقسمتها'رواه البخاري برقم (1631), وعن عائشة رضي الله عنها قالت: 'أهدى النبي صلى الله عليه وسلم مرة غنماً' رواه البخاري برقم (1614).**

**ومن حكمته تبارك وتعالى أن شرع للذين لم يُقدِّر لهم أن يحجوا ويهدوا إلى البيت الحرام ما يشاركون به إخوانهم الحجاج، فشرع لهم الأضاحي, وجعل فيها أجراً عظيماً.**

**لكن ينبغي أن يُعلَم في ذلك أن للهدي والأضحية شروطاً من المهم توافرها في البهيمة التي نريد التضحية أو الهدي بها، وهذه الشروط هي كما يلي:**

**أولاً: أن تكون من بهيمة الأنعام: وهي الإبل والبقر والغنم ضأنها ومعزها لقوله تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ (سورة الحج: 34)، وبهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والغنم هذا هو المعروف عند العرب, وقاله الحسن وقتادة وغير واحد.**

**ثانياً: أن تبلغ السن المحدود شرعاً: وذلك بأن تكون جذعة من الضأن, أو ثنية من غيره؛ لحديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تذبحوا إلا مسنة؛ إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن رواه مسلم (1963)، والمسنة: الثنية فما فوقها, والجذعة: ما دون ذلك, فالثني من الإبل: ما له خمس سنين, والثني من البقر: ما له سنتان, والثني من الغنم ما له سنة, والجذع: ما له نصف سنة; فلا تصح التضحية بما دون الثني من الإبل والبقر والمعز، ولا بما دون الجذع من الضأن.**

**ثالثاً: أن تكون خالية من العيوب المانعة من الإجزاء: والعيوب المانعة هي أربعة كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدي أقصر من يده فقال: أربع لا يجزن: العوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن ظلعها، والكسيرة التي لا تنقى [1].**

**1- العور البيِّن: وهو الذي تنخسف به العين، أو تبرز حتى تكون كالزر، أو تبيض ابيضاضاً يدل دلالة بينة على عورها.**

**2- المرض البيِّن: وهو الذي تظهر أعراضه على البهيمة كالحمى التي تقعدها عن المرعى، وتمنع شهيتها, والجرب الظاهر المفسد للحمها، أو المؤثر في صحته, والجرح العميق المؤثر عليها في صحتها ونحوه.**

**3- العرج البيِّن: وهو الذي يمنع البهيمة من المشي مع السليمة.**

**4- الهزال المزيل للمخ.**

**فهذه العيوب الأربعة مانعة من إجزاء الأضحية بما تعيب بها, ويلحق بها ما كانت مثلها أو أشد, فلا تجزئ الأضحية بما يأتي:**

**1- العمياء التي لا تبصر بعينها.**

**2- مقطوعة إحدى اليدين أو الرجلين.**

**3- والعاجزة عن المشي لعاهة فيها, وغير ذلك مما يلحق بها.**

**فإذا ضممت ذلك إلى العيوب الأربعة المنصوص عليها وما يلحق بها كانت لا تجزئ في الهدي، ولا في الأضاحي.**

**رابعاً: أن تكون ملكاً للمهدي أو مأذوناً له فيها: من قبل الشرع، أو من قبل المالك; فلا تصح بما لا يملكه كالمغصوب والمسروق، والمأخوذ بدعوى باطلة ونحوه, لأنه لا يصح التقرب إلى الله بمعصيته.**

**خامساً: أن لا يتعلق بها حق للغير: كأن تكون مرهونة.**

**الشرط السادس: أن يذبح الهدي في الوقت المحدد: وهو من بعد صلاة العيد يوم النحر إلى غروب الشمس من آخر يوم من أيام التشريق وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، فيكون عدد أيام الذبح أربعة: يوم العيد من بعد الصلاة، وثلاثة أيام بعده, وقال الإمام النووي رحمه الله: 'وقت ذبح الهدى ففيه وجهان مشهوران أصحهما وبه قطع العراقيون وجماعات من غيرهم أنه كوقت الأضحية يختص بيوم العيد، وأيام التشريق، ويدخل بعد طلوع شمس يوم النحر، ومضي قدر صلاة العيد، والخطبتين، ويخرج بخروج أيام التشريق؛ فإن خرجت ولم يذبحه فإن كان نذراً لزمه ذبحه، ويكون قضاء، وإن كان تطوعاً فقد فات الهدى في هذه السنة؛ فإن ذبحه قال الشافعي والأصحاب كان شاة لحم لا هدياً, والوجه الثاني: حكاه الخراسانيون أنه لا يختص بزمان بل يجوز قبل يوم النحر وفيه، وبعد أيام التشريق كدماء الجبرانات، والمذهب الأول, واتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على أن ذبح الهدى يختص بالحرم، ولا يجوز في غيره، واتفقوا على أنه يجوز في أي موضع شاء من الحرم ولا يختص بمنى, قال الشافعي رحمه الله: الحرم كله منحر حيث نحر منه أجزأه في الحج والعمرة، لكن السنَّة في الحج أن ينحر بمنى لأنها موضع تحلله، وفى العمرة بمكة وأفضلها عند المروة لأنها موضع تحلله، والله أعلم'[2].**

**وقال العلامة ابن باز رحمه الله: 'من ذبح قبل العيد دم العمرة، أو دم التمتع؛ فإنه لا يجزئه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يذبحوا إلا في أيام النحر, وقد قدموا وهم متمتعون في اليوم الرابع من ذي الحجة، وبقيت الغنم والإبل التي معهم موقوفة حتى جاء يوم النحر, فلو كان ذبحها جائزاً قبل ذلك لبادر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليه في الأيام الأربعة التي أقاموها قبل خروجهم إلى منى، لأن الناس بحاجة إلى اللحوم في ذلك الوقت، فلما لم يذبح النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه حتى جاء يوم النحر؛ ودل ذلك على عدم الجزاء، وأن الذي ذبح قبل يوم النحر خالف السنة، وأتى بشرع جديد فلا يجزيء، كمن صلى أو صام قبل الوقت فلا يصح صوم رمضان قبل وقته، ولا الصلاة قبل وقتها نحو ذلك؛ فالحاصل أن هذه عبادة أداها قبل الوقت فلا يجزيء، فعليه أن يعيد هذا الذبح إن قدر، وإن عجز صام ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله؛ فتكون عشرة أيام بدلاً من الذبح'[3].**

**وقال الشيخ ابن جبرين رحمه الله: 'و أما ذبح الهدي فيُشرع بعد الرمي مباشرة، و المراد بالهدي: ما يُساق من خارج الحرم، و يُهدى إلى مكة تقرباً وتطوعاً، وتعظيماً لحرمات الله تعالى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ساق معه هدياً بلغ مائة بدنة، جاء علي رضي الله عنه ببعضها من اليمن، وكذا كثير من الصحابة رضي الله عنهم ساقوا معهم هدياً من المدينة ومن غيرها، ولا يدخل في مسماهُ فدية التمتع والقران، وإنما تسمى هدياً أو فدية لأنها من جنس ما يهدى من الأنعام التي هي الإبل والبقر والغنم.**

**ووقت الذبح من صبح يوم النحر إلى آخر أيام التشريق الثلاثة، وكره بعض العلماء الذبح ليلاً لأن البعض يخفون هديهم وفديتهم في الليل ليحرموا المساكين، وحيث إن الذبح يكثر في هذه الأيام؛ فأرى أن لا كراهة في الليل كالنهار، إذا خاف أن لا يجد من يأكل فديته أو هديه يوم النحر فله التأخير، وهو أفضل، حيث إن الكثير الذين يذبحون في يوم العيد يلقون ما يذبحونه في الأرض فتحرق تلك اللحوم أو تدفن، وتذهب ضياعاً، بخلاف ما إذا أخَّر الذبح إلى اليوم الحادي عشر أو بعده فسوف يجد من يتقبله من المساكين وغيرهم'[4].**

**مكان ذبح الهدي:**

**'لا يجوز ذبح الهدي إلا في الحرم لقول الله تبارك تعالى: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (سورة الحج: 33)'[5]قال الشيخ ابن باز رحمه الله: 'هدي التمتع والقران لا يجوز ذبحه إلا في الحرم، فإذا ذبحه في غير الحرم كعرفات وجدة وغيرهما فإنه لا يجزئه؛ ولو وزع لحمه في الحرم، وعليه هدي آخر يذبحه في الحرم سواء كان جاهلاً أو عالماً, لأن النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال: خذوا عني مناسككم [6]، وهكذا أصحابه رضي الله عنهم إنما نحروا هديهم في الحرم تأسياً به صلى الله عليه وسلم'[7].**

**وسُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء: هل يجوز ذبح الهدي خارج الأراضي المقدسة، وفي بلد الحاج بالذات؟**

**فأجابت: 'محل الهدي الحرم المكي، فيجب ذبح جميع الهدي التمتع والقران في داخل الحرم، ولا يجوز الذبح في بلد الحاج غير مكة؛ إلا إذا عطب الهدي المهدى إلى مكة قبل وصوله إليها؛ فإنه يذبحه في مكانه، ويجزئ عنه، وكذلك في المحصر عن دخول الحرم، ينحر هديه حيث أحصر'[8].**

**والحمد لله رب العالمين.**

**11- حجة الوداع**

* **دروس من خطبة الوداع**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:**

**فلقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، ومجامع الحكم، وينابيع الفهم؛ حتى إنه ليتكلم بالكلمة الواحدة كالوابل الصيب، تروي أرضاً، وتنبت ثمراً يانعاً، فالأرض هي قلوب العباد، والثمار هو الإيمان الممزوج بالحب والإجلال.**

**وهو صلى الله عليه وسلم وإن كان قد أوتي من الكلام جوامعه، ومن اللفظ بدائعه؛ إلا أنه في حجة الوداع أتى بجامعة الشريعة، وخلاصة الأحكام فقال صلى الله عليه وسلم: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد رواه مسلم برقم (1218).**

**وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان ثم قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكتَ حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، قال: فأي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكتَ حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى، قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكتَ حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: فإن دماءكم وأموالكم قال محمد: وأحسبه قال وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**

**وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعن بعدي كفارا أو ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال: ألا هل بلغت . البخاري برقم: (5230) ومسلم برقم: (1679)**

**فثمة فوائد جمة، وحكم مجملة طوت في إجمال العبارة جمال العبرة، نذكر بعضها فيما يلي:**

**- بيان أن الناس كانوا 'في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم صلى الله عليه و سلم في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخَّروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة.. حتى اختلط عليهم الأمر، وصادفت حجة النبي صلى الله عليه و سلم تحريمهم، وقد تطابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرموا ذا الحجة لموافقة الحساب، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستدارة صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السماوات والأرض.. وقال أبو عبيد: كانوا ينسئون أي: يؤخرون، وهو الذي قال الله تعالى فيه: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (التوبة: 37)[1]' إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض .**

**- تبيين عدد أشهر السنة، والأشهر الحرم السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان .**

**- أسلوب تعليمي رائع في عرض المعلومة لتلقى من الاهتمام والتركيز ما يسهل حفظها ووعيها، وهي البدء بسؤال يشد ذهن السامع، حيث قال: أي شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: فأي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى. قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا بلى يا رسول الله.**

**- أدب الصحابة رضوان الله عليهم، حين ينصتون، ولا يجترئون على الجواب، ظناً منهم أنه وقع تغيير الأسماء، والإجابة بقول: الله ورسوله أعلم، وتكرر ذلك ثلاثاً ولم يجترئوا ولو في الثالثة..**

**- حرمة الدماء والأنفس تحريماً مضاعفاً على ما لو انتهك البلد الحرام في الأشهر الحرم في يوم عرفة..**

**- حرمة أموال المسلمين فيما بينهم فلا يحل مال امرئ إلا بطيبة من نفسه.. وانتهاكها وتناولها بغير طريق شرعي يعد انتهاكاً لحُرَمٍِ مضاعفة.. بيَّن ذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . فـ'فيه تأكيد التحريم وتغليظه بأبلغ ممكن من تكرار ونحوه.. وإنما شبه حرمة الدم والعرض والمال بحرمة اليوم والشهر والبلد؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون تلك الأشياء ولا يرون هتك حرمتها ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب، وإنما قدم السؤال عنها تذكارا لحرمتها وتقريرا لما ثبت في نفوسهم ليبني عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد.'[2].**

**- نبذ وإبطال أمر الجاهلية الجهلاء ما يخالف منها شرع الله تعالى، ولو كانت فيها مصالح ظاهرة، فإنها ليست في ميزان الشرع في شيء.. ألا كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع . ولا ريب في أن أول ما ينبذ من أمر الجاهلية الشرك وعبادة الأوثان، والكفر بألوهية الواحد القهار..**

**- لا اعتبار ولا قيمة للثارات المتوارثة من الجاهلية.. ودماء الجاهلية موضوعة فلا قصاص فيها**

**- البدء بالنفس والأقارب في العقاب والحرمان والتنازل مما يثقل على الآخرين يهون الأمر في نفوسهم كما قال صلى الله عليه وسلم: وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث -كان مسترضعا في بني سعد، فقتلته هذيل- فربما خُشي تردد البعض في التطبيق، فبادر عليه الصلاة والسلام بنفسه..**

**- تحريم الربا، وتصفية حسابات الجاهلية ليس بالتقاضي ما دامت محرمة، وإنما بالكف والترك وربا الجاهلية موضوع فلا يقال: كانت قد احتسبت لي فوائد أريد تقاضيها.. أو: اتفقنا على ربح زائد على دينٍ، وقد تم العقد، فلنا أخذه ولا ننشئ رباً من بعد..**

**- ينبغي تحمل الخسارة والبدء بالنفس؛ لئلا يصعب على الآخرين التغيير فيكون أسوة لغيره وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله . فـ'الإمام وغيره ممن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله فهو أقرب إلى قبول قوله والى طيب نفس من قرب عهده بالإسلام'[3].**

**- أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق بالنساء، وعلَّق نكاحهن بما يشبه الوثيقة والعهد التي لا ينبغي نقضها.. فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ففي الحديث: 'الحث على مراعاة حق النساء والوصية بهن ومعاشرتهن بالمعروف، وبيان حقوقهن والتحذير من التقصير في ذلك'[4].**

**- بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه 'لا يحل لها أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه، أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عرف رضاه باطراد العرف بذلك ونحوه، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء ولا وجدت قرينة لا يحل الدخول ولا الإذن'[5].. ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه .**

**- 'إباحة ضرب الرجل امرأته للتأديب فان ضربها الضرب المأذون فيه فماتت منه وجبت ديتها على عاقلة الضارب ووجبت الكفارة في ماله[6]' فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح . وهذا ليس من القسوة، إنما للتأديب..**

**قسا ليزدجروا ومن يكُ راحماً \*\*\* فليقسُ أحيانا على من يرحمُ**

**- 'وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالإجماع'[7] ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .**

**- بيان أهمية التمسك بكتاب الله تعالى قولا وعملاً وحكماً ومنهجاً وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله فترك التمسك به يوجب الضلال.**

**- وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟ وقوله: وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم أن أعلم أمته بهذا؛ لتصلح أعمالهم ونياتهم، كمن يبين لطلابه بوجود امتحان، وأيضاً لعله يريد النبي صلى الله عليه وسلم التأكد والطمأنينة على ما صاروا عليه من الإيمان واليقين والرسوخ في الدين، حتى قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات..**

**- التحذير من الوقوع في الكفر والضلال، وتحريم القتال بين المسلمين، فلا ترجعن بعدي كفارا أو ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فيُقتل البريء لا يدري علامَ قُتل، ويمر المارُّ يخاف الطريق، فضلاً عن حروب وصراع بين أطراف المسلمين..**

**- إيجاب تبليغ العلم: ألا ليبلغ الشاهد الغائب .**

**- أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الفروق الفردية وتفاوت الهمم والتلقي والوعي والإدراك، وفيه الحث على الأمل أن في الأمة من يحمل العلم، وقد يفتح الله لهذا ما لا يفتح لذاك، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه .**

**- تحريم الظلم وأخذ أموال الناس بدون طيبة من أنفسهم.. كما روى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده[8]: ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، إنه لا يحل مال امرئ إلا بطيب نفس منه ومنه أكل الربا والرشا والنصب والاحتيال..**

**- ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العدو الأكبر -الشيطان- محذراً من أمره ومبشراً، ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون، ولكنه في التحريش بينكم .**

**- الحث على أداء الأمانات وردها إلى أهلها ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، ومن الأمانة أداء العلم، وتبليغ هذا الدين، والدعوة إلى الله على بصيرة، والقيام بشؤون الأمة ومصالح العباد والبلاد، وإعطاء كل ذي حقٍ حقه..**

**- خلاصة القول: بين رسول البشرية عليه الصلاة والسلام حقوق الإنسان كاملة في كلمات جامعة، وبين حقوق المرأة وحق الفرد والمجتمع، وحق المال، وحق الله في ذلك كله، لتكون دستور أمة، ومنهج حياة، وهدياً متبعاً إلى يوم الدين..**

**- جملة الخطبة كانت توحي بالوداع، وقرب الفراق، لا سيما في تنبيهه صلى الله عليه وسلم على أصول الأحكام ومرتكزات الأمة، وكأنه في هذه الخطبة يوكل إلى الأمة القيام بعبء دولتهم ومجتمعهم، ويخلي عهدته ليستلمها منه القادة الأفذاذ.. وكأنما يسلمهم ملفات الأمة وأوراق الدولة مذكراً لهم بأمانتها، وإقامة العدل في شؤونها.. ونراه يُشهد على ما سلَّم؛ لما جرى من قواعد شريعته من مقتضى الإشهاد عند الاستلام والتسليم لمقاليد الأمور وعقد العهود..**

**إلى غير ذلك من الفوائد التي تعطر بها مجالس الصالحين، حين تفوح من أفواه العلماء.. فما أكثر أنفاسهم، إذ كل عالم قد يستنبط من العلم ما يفتح الله عليه..**

**وفقنا الله لمرضاته، وجمعنا مع نبيه في دار كرامته..**

* **شرح حديث جابر في حجة الوادع**

**باختصار من شرح النووي على صحيح مسلم**

**حديث جابر رضي الله عنه هو حديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، وهو من أفراد مسلم لم يروه البخاري في صحيحه، ورواه أبو داود كرواية مسلم، قال القاضي: وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا.**

**فقوله: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج) يعنى مكث بالمدينة بعد الهجرة.**

**قوله: (ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجّ) معناه أعلمهم بذلك، وأشاعه بينهم؛ ليتأهبوا للحج معه، ويتعلموا المناسك والأحكام، ويشهدوا أقواله، وأفعاله، ويوصيهم؛ ليبلغ الشاهد الغائب، وتشيع دعوة الإسلام، وتبلغ الرسالة القريب والبعيد.**

**قوله: (كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا مما يدل على أنهم كلهم أحرموا بالحج؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أحرم بالحج وهم لا يخالفونه، ولهذا قال جابر: وما عمل من شيء عملنا به.**

**قوله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس وقد ولدت: اغتسلي، واستثفري بثوب، وأحرمي فيه استحباب غسل الإحرام للنفساء، وصحة إحرام النفساء وهو مجمع عليه.**

**قوله: (فصلى ركعتين) فيه استحباب ركعتي الإحرام.**

**قوله: (ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ) قال محمد بن إبراهيم التيمي التابعي وغيره: أن العضباء، والقصواء، والجدعاء اسم لناقة واحدة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم.**

**قوله: (نظرت إلى مد بصري) معناه منتهى بصري.**

**قوله: (بين يديه من راكب وماش) فيه جواز الحج راكباً، وماشياً، وهو مجمع عليه، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة قال الله تعالى: وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر ، واختلف العلماء في الأفضل منهما: فقال مالك والشافعي وجمهور العلماء: الركوب أفضل؛ اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولأنه أعون له على وظائف مناسكه، ولأنه أكثر نفقه، وقال داود: ماشياً أفضل لمشقته، وهذا فاسد؛ لأن المشقة ليست مطلوبة.**

**قوله: (وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله) معناه الحث على التمسك بما أخبركم عن فعله في حجته تلك.**

**قوله: (فأهل بالتوحيد) يعنى قوله لبيك لا شريك لك، وفيه إشارة إلى مخالفة ما كانت الجاهلية تقوله في تلبيتها من لفظ الشرك.**

**قوله: (فأهلَّ بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلُّون به فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً منه، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته) فيه إشارة إلى ما روي من زيادة الناس في التلبية من الثناء، والذكر، كما روى في ذلك عن عمر رضي الله عنه أنه كان يزيد: 'لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوباً منك، ومرغوباً إليك'، وعن ابن عمر رضي الله عنه: 'لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل'، وعن أنس رضي الله عنه: 'لبيك حقاً تعبداً ورقاً'.**

**قال القاضي: قال أكثر العلماء: المستحب الاقتصار على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه قال مالك والشافعي.**

**قوله: (قال جابر: لسنا ننوى إلا الحج لسنا نعرف العمرة) فيه دليل لمن قال بترجيح الإفراد.**

**قوله: (حتى أتينا البيت) فيه بيان أن السنة للحاج أن يدخلوا مكة قبل الوقوف بعرفات؛ ليطوفوا للقدوم وغير ذلك.**

**قوله: (حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً) فيه أن المحرم إذا دخل مكة قبل الوقوف بعرفات يسن له طواف القدوم وهو مجمع عليه، وفيه أن الطواف سبع طوافات، وفيه أن السنة أيضاً الرمل في الثلاث الأول، ويمشى على عادته في الأربع الأخيرة، والرمل: هو أسرع المشي مع تقارب الخُطا، وهو الخبب، ولا يستحب الرمل إلا في طواف واحد في حج، أو عمرة، أما إذا طاف في غير حج، أو عمرة؛ فلا رمل بلا خلاف.**

**ولا يسرع أيضاً في كل طواف حج، وإنما يسرع في واحد منها، وفيه قولان مشهوران للشافعي أصحهما طواف يعقبه سعى، ويتصور ذلك في طواف القدوم، ويتصور في طواف الإفاضة، ولا يتصور في طواف الوداع، والقول الثاني: أنه لا يسرع إلا في طواف القدوم سواء أراد السعي بعده أم لا، ويسرع في طواف العمرة إذ ليس فيها إلا طواف واحد.**

**قوله: (استلم الركن) مسحه بيده، وهو سنة في كل طواف.**

**قوله: (ثم نفر إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فجعل المقام بينه وبين البيت) هذا دليل لما أجمع عليه العلماء أنه ينبغي لكل طائف إذا فرغ من طوافه أن يصلي خلف المقام ركعتي الطواف، والسنة أن يصليهما خلف المقام؛ فإن لم يفعل ففي الحِجر، وإلا ففي المسجد، وإلا ففي مكة وسائر الحرم، ولو صلاهما في وطنه وغيره من أقاصي الأرض جاز، وفاتته الفضيلة، ولا تفوت هذه الصلاة ما دام حياً، ولو أراد أن يطوف أطوفة استحب أن يصلى عقب كل طواف ركعتيه، فلو أراد أن يطوف أطوفة بلا صلاة، ثم يصلي بعد الأطوفة لكل طواف ركعتيه قال أصحابنا: يجوز ذلك وهو خلاف الأولى، ولا يقال مكروه، وممن قال بهذا المسور بن مخرمة، وعائشة، وطاوس، وعطاء، وسعيد بن جبير، وأحمد، وإسحاق، وأبو يوسف، وكرهه بن عمر، والحسن البصري، والزهري، ومالك، والثورى، وأبو حنيفة، وأبو ثور، ومحمد بن الحسن، وبن المنذر، ونقله القاضي عن جمهور الفقهاء.**

**قوله: (كان يقرأ في الركعتين: قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون) معناه قرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: قل يا أيها الكافرون وفي الثانية بعد الفاتحة: قل هو الله أحد .**

**قوله: (ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا) فيه دلالة لما قاله الشافعي وغيره من العلماء: أنه يستحب للطائف طواف القدوم إذا فرغ من الطواف، وصلاته خلف المقام؛ أن يعود إلى الحجر الأسود؛ فيستلمه، ثم يخرج من باب الصفا؛ ليسعى، واتفقوا على أن هذا الاستلام ليس بواجب، وإنما هو سنة لو تركه لم يلزمه دم.**

**قوله: (ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ إن الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحَّد الله وكبَّر، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة) في هذا اللفظ أنواع من المناسك منها:**

**- أن السعي يشترط فيه أن يبدأ من الصفا، وبه قال الشافعي ومالك والجمهور.**

**- ومنها: أنه ينبغي أن يرقى على الصفا والمروة، وفي هذا الرقي خلاف، قال جمهور أصحابنا: هو سنة ليس بشرط ولا واجب، فلو تركه صح سعيه لكن فاتته الفضيلة، لكن يشترط أن لا يترك شيئاً من المسافة بين الصفا والمروة؛ فليلصق عقبيه بدرج الصفا، وإذا وصل المروة ألصق أصابع رجليه بدرجها، وهكذا في المرات السبع، يشترط في كل مرة أن يلصق عقبيه بما يبدأ منه، وأصابعه بما ينتهي إليه.**

**- ومنها: أنه يسن أن يقف على الصفا مستقبل الكعبة، ويذكر الله تعالى بهذا الذكر المذكور، ويدعو، ويكرر الذكر والدعاء ثلاث مرات، هذا هو المشهور.**

**قوله صلى الله عليه وسلم: وهزم الأحزاب وحده معناه هزمهم بغير قتال من الآدميين، ولا بسبب من جهتهم، والمراد بالأحزاب الذين تحزَّبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق.**

**قوله: (ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه في بطن الوادي حتى إذا صعدتا مشي حتى أتى المروة) جاء في غير مسلم: (حتى انصبت قدماه رمل في بطن الوادي) وفيه استحباب السعي الشديد في بطن الوادي حتى يصعد، ثم يمشى باقي المسافة إلى المروة على عادة مشيه، وهذا السعي مستحب في كل مرة من المرات السبع في هذا الموضع، والمشي مستحب فيما قبل الوادي وبعده، ولو مشى في الجميع، أو سعى في الجميع؛ أجزأه، وفاتته الفضيلة هذا مذهب الشافعي وموافقيه.**

**قوله: (ففعل على المروة مثل ما فعل على الصفا) فيه أنه يسن عليها من الذكر، والدعاء، والرقي؛ مثل ما يسن على الصفا وهذا متفق عليه.**

**قوله: (حتى إذا كان آخر طواف على المروة) فيه دلالة لمذهب الشافعي، والجمهور؛ أن الذهاب من الصفا إلى المروة يحسب مرة، والرجوع إلى الصفا ثانية، والرجوع إلى المروة ثالثة وهكذا فيكون ابتداء السبع من الصفا وآخرها بالمروة.**

**قوله: (فوجد فاطمة ممن حلَّ ولبست ثياباً صبيغاً، واكتحلت، فأنكر ذلك عليها) فيه إنكار الرجل على زوجته ما رآه منها من نقص في دينها؛ لأنه ظن أن ذلك لا يجوز فأنكره.**

**قوله: (فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشاً على فاطمة) المراد أن يذكر له ما يقتضي عتابها.**

**قوله: (قلت: إني أهلُّ بما أهلَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيه جواز تعليق الإحرام بإحرام كإحرام فلان.**

**قوله: (فحل الناس كلهم وقصَّروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى) فيه إطلاق اللفظ العام، وإرادة الخصوص؛ لأن عائشة لم تحل، ولم تكن ممن ساق الهدي، وإنما قصروا، ولم يحلقوا مع أن الحلق أفضل؛ لأنهم أرادوا أن يبقى شعر يحلق في الحج، فلو حلقوا لم يبق شعر، فكان التقصير هنا أحسن؛ ليحصل في النسكين إزالة شعر.**

**قوله: (فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلُّوا بالحج) يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة، وفي هذا بيان أن السنة أن لا يتقدم أحد إلى منى قبل يوم التروية، وقد كره مالك ذلك، وقال بعض السلف: لا بأس به.**

**قوله: (وركب النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، والفجر) فيه بيان سنن:**

**أحداها: أن الركوب في تلك المواطن أفضل من المشي، كما أنه في جملة الطريق أفضل من المشي.**

**والسنة الثانية: أن يصلى بمنى هذه الصلوات الخمس.**

**والثالثة: أن يبيت بمنى هذه الليلة، وهي ليلة التاسع من ذي الحجة، وهذا المبيت سنة ليس بركن، ولا واجب، فلو تركه فلا دم عليه بالإجماع.**

**قوله: (ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس) فيه أن السنة أن لا يخرجوا من منى حتى تطلع الشمس، وهذا متفق عليه.**

**قوله: (وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة) فيه استحباب النزول بنمرة إذا ذهبوا من منى؛ لأن السنة أن لا يدخلوا عرفات إلا بعد زوال الشمس، وبعد صلاتي الظهر والعصر جمعاً، فالسنة أن ينزلوا بنمرة فمن كان له قبة ضربها، ويغتسلون للوقوف قبل الزوال، فإذا زالت الشمس سار بهم الإمام إلى مسجد إبراهيم عليه السلام، وخطب بهم خطبتين خفيفتين، ويخفف الثانية جداً، فإذا فرغ منها صلى بهم الظهر والعصر جامعاً بينهما، فإذا فرغ من الصلاة سار إلى الموقف، وفيه جواز الاستظلال للمحرم بقبة وغيرها، ولا خلاف في جوازه للنازل، واختلفوا في جوازه للراكب فمذهبنا جوازه وبه قال كثيرون، وكرهه مالك وأحمد، وفيه جواز اتخاذ القباب، وجوازها من شعر.**

**وقوله: (بنمرة) موضع بجنب عرفات وليست من عرفات.**

**قوله: (ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية) معنى هذا أن قريشاً كانت في الجاهلية تقف بالمشعر الحرام وهو جبل في المزدلفة يقال له: قزح، وقيل إن المشعر الحرام كل المزدلفة، وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة، ويقفون بعرفات، فظنت قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم يقف في المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه، فتجاوزه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عرفات؛ لأن الله تعالى أمره بذلك في قوله تعالى: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس أي سائر العرب غير قريش، وإنما كانت قريش تقف بالمزدلفة؛ لأنها من الحرم، وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه.**

**قوله: (فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس) معناه جاوز المزدلفة ولم يقف بها بل توجه إلى عرفات، وقوله: حتى أتى عرفة؛ فمجاز، والمراد قارب عرفات؛ لأنه فسره بقوله وجد القبة قد ضربت بنمرة فنزل بها، ونمرة ليست من عرفات، ودخول عرفات قبل صلاتي الظهر والعصر جميعاً خلاف السنة.**

**قوله: (حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس) أي جعل عليها الرحل.**

**قوله: (بطن الوادي) هو وادي عُرَنة، وليست عرنة من أرض عرفات عند الشافعي والعلماء كافة؛ إلا مالكاً فقال: هي من عرفات.**

**قوله: (فخطب الناس) فيه استحباب الخطبة للإمام بالحجيج يوم عرفة في هذا الموضع، وهو سنة باتفاق جماهير العلماء، وخالف فيها المالكية، ومذهب الشافعي أن في الحج أربع خطب مسنونة: إحداها يوم السابع من ذي الحجة يخطب عند الكعبة بعد صلاة الظهر، والثانية: هذه التي ببطن عرنة يوم عرفات، والثالثة: يوم النحر، والرابعة: يوم النفر الأول وهو اليوم الثاني من أيام التشريق، وكل هذه الخطب أفراد، وبعد صلاة الظهر إلا التي يوم عرفات فإنها خطبتان، وقبل الصلاة، ويعلِّمهم في كل خطبة من هذه ما يحتاجون إليه إلى الخطبة الأخرى.**

**قوله صلى الله عليه وسلم: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم؛ كحرمة يومكم هذا؛ في شهركم هذا معناه متأكدة التحريم شديدته، وفي هذا دليل لضرب الأمثال، وإلحاق النظير بالنظير قياساً.**

**قوله صلى الله عليه وسلم: ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع دم بن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوعة وأول ربا أضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، وفي هذه الجملة إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها التي لم يتصل بها قبض، وأنه لا قصاص في قتلها، وأن الإمام وغيره ممن يأمر بمعروف، أو ينهى عن منكر ينبغي أن يبدأ بنفسه، وأهله؛ فهو أقرب إلى قبول قوله، وإلى طيب نفس من قرب عهده بالإسلام.**

**وأما قوله صلى الله عليه وسلم تحت قدميَّ فإشارة إلى إبطاله، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة) فقال المحققون والجمهور: اسم هذا الابن إياس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان هذا الابن المقتول طفلا صغيراً يحبو بين البيوت؛ فأصابه حجر في حرب كانت بين بني سعد وبني ليث بن بكر.**

**قوله صلى الله عليه وسلم في الربا: (أنه موضوع كله) معناه الزائد على رأس المال كما قال الله تعالى: وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، والمراد بالوضع الرد، والإبطال.**

**قوله صلى الله عليه وسلم: فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله فيه الحث على مراعاة حق النساء، والوصية بهن، ومعاشرتهن بالمعروف.**

**قوله صلى الله عليه وسلم: واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه قوله تعالى: فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وقيل: المراد كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم، وقيل: المراد بإباحة الله، والكلمة قوله تعالى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، وهذا الثالث هو الصحيح، وقيل المراد بالكلمة: الإيجاب والقبول، ومعناه على هذا بالكلمة التي أمر الله تعالى بها.**

**قوله صلى الله عليه وسلم: ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح المراد بذلك أن لا يستخلين بالرجال، ولم يرد زناها؛ لأن ذلك يوجب رجمها أو جلدها، ولأن ذلك حرام مع من يكرهه الزوج، ومن لا يكرهه، وقال القاضي عياض: كانت عادة العرب حديث الرجال مع النساء، ولم يكن ذلك عيباً، ولا ريبة عندهم، فلما نزلت آية الحجاب نهوا عن ذلك، والمختار أن معناه أن لا يأذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم، والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبياً، أو امرأةً، أو أحداً من محارم الزوجة، فالنهى يتناول جميع ذلك، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل، أو امرأة، ولا محرم، ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت، أو ظنت أن الزوج لا يكرهه؛ لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه، أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عرف رضاه باطراد العرف بذلك ونحوه، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء، ولا وجدت قرينة؛ فلا يحل الدخول، ولا الإذن.**

**وأما الضرب المبرح فهو الضرب الشديد الشاق، ومعناه: اضربوهن ضرباً ليس بشديد، ولا شاق، والبرح المشقة، وفي الحديث إباحة ضرب الرجل امرأته للتأديب، فإن ضربها الضرب المأذون فيه فماتت منه وجبت ديتها على عاقلة الضارب، ووجبت الكفارة في ماله.**

**قوله صلى الله عليه وسلم: ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف فيه وجوب نفقة الزوجة، وكسوتها، وذلك ثابت بالإجماع.**

**قوله: (فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد معناه يقلبها ويرددها إلى الناس مشيراً إليهم.**

**قوله: (ثم أذَّن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً) فيه أنه يشرع الجمع بين الظهر والعصر هناك في ذلك اليوم، وقد أجمعت الأمة عليه، وفيه أن الجامع بين الصلاتين يصلي الأولى أولاً، وأنه يؤذن للأولى، وأنه يقيم لكل واحدة منهما، وأنه لا يفرق بينهما، وهذا كله متفق عليه عندنا.**

**قوله: (ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص) في الفصل أمور: منها أنه إذا فرغ من الصلاتين عجَّل الذهاب إلى الموقف.**

**ومنها: أن الوقوف راكباً أفضل.**

**ومنها: أنه يستحب أن يقف عند الصخرات المذكورات وهي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات، فهذا هو الموقف المستحب، وأما ما اشتهر بين العوام من الاعتناء بصعود الجبل، وتوهمهم أنه لا يصح الوقوف إلا فيه؛ فغلط، بل الصواب جواز الوقوف في كل جزء من أرض عرفات، وأن الفضيلة في موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصخرات، فإن عجز فليقرب منه بحسب الإمكان.**

**ومنها: استحباب استقبال الكعبة في الوقوف.**

**ومنها: أنه ينبغي أن يبقى في الوقوف حتى تغرب الشمس، ويتحقق كمال غروبها، ثم يفيض إلى مزدلفة؛ فلو أفاض قبل غروب الشمس صح وقوفه وحجه، ويجبر ذلك بدم، وهل الدم واجب أم مستحب فيه قولان للشافعي أصحهما: أنه سنة، وأما وقت الوقوف فهو ما بين زوال الشمس يوم عرفة وطلوع الفجر الثاني يوم النحر فمن حصل بعرفات في جزء من هذا الزمان صح وقوفه، ومن فاته ذلك فاته الحج هذا مذهب الشافعي وجماهير العلماء، وقال مالك: لا يصح الوقوف في النهار منفرداً بل لا بد من الليل وحده، فإن اقتصر على الليل كفاه، وإن اقتصر على النهار لم يصح وقوفه، وقال أحمد: يدخل وقت الوقوف من الفجر يوم عرفة، وأجمعوا على أن أصل الوقوف ركن لا يصح الحج إلا به.**

**قوله: (وجعل حبل المشاة بين يديه) أي مجتمعهم.**

**قوله: (فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص) قوله حتى غاب القرص بياناً لقوله غربت الشمس وذهبت الصفرة فإن هذه تطلق مجازاً على مغيب معظم القرص.**

**قوله: (وأردف أسامة خلفه) فيه جواز الإرداف إذا كانت الدابة مطيقة.**

**قوله: (وقد شنق للقصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب مورك رحله) معنى شنق ضم وضيق، ومورك الرحل: هو الموضع الذي يثنى الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل إذا مل من الركوب، وضبطه القاضي بفتح الراء قال وهو قطعة أدم يتورك عليها الراكب تجعل في مقدم الرحل شبه المخدة الصغيرة، وفي هذا استحباب الرفق في السير من الراكب بالمشاة، وبأصحاب الدواب الضعيفة.**

**قوله: (ويقول بيده: السكينة السكينة أي إلزموا السكينة وهي الرفق والطمأنينة، ففيه أن السكينة في الدفع من عرفات سنة فإذا وجد فرجة يسرع.**

**قوله: (كلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد حتى أتى المزدلفة) الحبال جمع حبل، وهو التل اللطيف من الرمل الضخم، وأما المزدلفة فمعروفة سميت بذلك من التزلف والازدلاف وهو التقرب؛ لأن الحجاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها تقربوا منها، وقيل: سميت بذلك لمجيء الناس إليها في زلف من الليل أي ساعات، وتسمى جمعاً سميت بذلك لاجتماع الناس فيها، واعلم أن المزدلفة كلها من الحرم، وحدُّ مزدلفة: ما بين مازمي عرفة ووادي محسر، وليس الحدَّان منها، ويدخل في المزدلفة جميع تلك الشعاب والجبال الداخلية في الحد المذكور.**

**قوله: (حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئا) فيه فوائد:**

**منها أن السنة للدافع من عرفات أن يؤخر المغرب إلى وقت العشاء، ويكون هذا التأخير بنية الجمع، ثم يجمع بينهما في المزدلفة في وقت العشاء، وهذا مجمع عليه، ولو جمع بينهما في وقت المغرب في أرض عرفات، أو في الطريق، أو في موضع آخر، وصلى كل واحدة في وقتها؛ جاز جميع ذلك لكنه خلاف الأفضل هذا مذهبنا، وبه قال جماعات من الصحابة والتابعين، وقاله الأوزاعي وأبو يوسف وأشهب وفقهاء أصحاب الحديث، وقال أبو حنيفة وغيره من الكوفيين: يشترط أن يصليهما بالمزدلفة، ولا يجوز قبلها، وقال مالك: لا يجوز أن يصليهما قبل المزدلفة إلا من به، أو بدابته عذر فله أن يصليهما قبل المزدلفة بشرط كونه بعد مغيب الشفق.**

**ومنها: أن يصلي الصلاتين في وقت الثانية بأذان للأولى وإقامتين لكل واحدة إقامة وهذا هو الصحيح عند أصحابنا وبه قال أحمد بن حنبل، وأبو ثور، وعبدالملك الماجشون المالكي، والطحاوي الحنفي، وقال مالك: يؤذن ويقيم للأولى، ويؤذن ويقيم أيضاً للثانية، وهو محكي عن عمر وبن مسعود رضي الله عنهما، وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: أذان واحد وإقامة واحدة، وللشافعي وأحمد قول: أنه يصلى كل واحدة بإقامتها بلا أذان وهو محكي عن القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وقال الثورى: يصليهما جميعاً بإقامة واحدة وهو يحكي أيضاً عن ابن عمر.**

**قوله: (لم يسبح بينهما) أي لم يصل بينهما نافلة، والنافلة تسمى سبحة؛ لاشتمالها على التسبيح، ففيه الموالاة بين الصلاتين المجموعتين.**

**قوله: (ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بإذان وإقامة) في هذا الفصل مسائل:**

**إحداها: أن المبيت بمزدلفة ليلة النحر بعد الدفع من عرفات نسك، وهذا مجمع عليه، لكن اختلف العلماء هل هو واجب أم ركن أم سنة؟ والصحيح من قولى الشافعي أنه واجب لو تركه أثم، وصح حجه، ولزمه دم، والسنة أن يبقى بالمزدلفة حتى يصلي بها الصبح إلا الضعفة فالسنة لهم الدفع قبل الفجر، وأقل المجزي من هذا المبيت ثلاثة أقوال: الصحيح: ساعة في النصف الثاني من الليل.**

**المسألة الثانية: السنة أن يبالغ بتقديم صلاة الصبح في هذا الموضع، ويتأكد التبكير بها في هذا اليوم أكثر من تأكده في سائر السنة للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن وظائف هذا اليوم كثيرة فسن المبالغة بالتبكير بالصبح؛ ليتسع الوقت للوظائف.**

**الثالثة: يسن الأذان والإقامة لهذه الصلاة، وكذلك غيرها من صلوات المسافر.**

**قوله: (ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، ودفع قبل أن تطلع الشمس) فيه أن السنة الركوب، وأنه أفضل من المشي، وأما المشعر الحرام فالمراد به هنا قُزَح وهو جبل معروف في المزدلفة، وهذا الحديث حجة الفقهاء في أن المشعر الحرام هو قزح، وقال جماهير المفسرين وأهل السير والحديث: المشعر الحرام جميع المزدلفة.**

**وفيه أن الوقوف على قزح من مناسك الحج، وهذا لا خلاف فيه، لكن اختلفوا في وقت الدفع منه فقال ابن مسعود، وابن عمر، وأبو حنيفة، والشافعي، وجماهير العلماء: لا يزال واقفاً فيه يدعو، ويذكر؛ حتى يسفر الصبح جداً كما في هذا الحديث، وقال مالك: يدفع منه قبل الإسفار.**

**قوله: (أسفر جداً) أي الفجر إسفاراً بليغاً.**

**قوله في صفة الفضل بن عباس: (أبيض وسيماً) أي حسناً.**

**قوله: (مرت به ظُعُن يجرين) جميع ظعينة، وأصل الظعينة البعير الذي عليه امرأة، ثم تسمى به المرأة مجازاً لملابستها البعير.**

**قوله: (فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل) فيه الحث على غض البصر عن الأجنبيات، وغضهن عن الرجال الأجانب، وهذا معنى قوله: (وكان أبيض وسيماً حسن الشعر) يعنى أنه بصفة من تفتتن النساء به لحسنه، وفي رواية الترمذي وغيره في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل فقال له العباس: لويت عنق ابن عمك، قال: رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما فهذا يدل على أن وضعه صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل كان لدفع الفتنة عنه، وعنها.**

**وفيه أن من رأى منكراً وأمكنه إزالته بيده لزمه إزالته فإن قال بلسانه، ولم ينكف المقول له، وأمكنه بيده أثم ما دام مقتصراً على اللسان.**

**قوله: (حتى أتى بطن مُحَسِّر فحرك قليلاً) سمي بذلك؛ لأن فيل أصحاب الفيل حصر فيه، أي أعي فيه، وكلّ منه.**

**وأما قوله: (فحرك قليلاً) فهي سنة من سنن السير في ذلك الموضع.**

**قوله: (ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها حصى الخذف رمى من بطن الوادي) فيه أن سلوك هذا الطريق في الرجوع من عرفات سنة، وهو غير الطريق الذي ذهب فيه إلى عرفات، وهذا معنى قول أصحابنا يذهب إلى عرفات في طريق ضب، ويرجع في طريق المازمين؛ ليخالف الطريق تفاؤلاً بتغير الحال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في دخول مكة حين دخلها من الثنية العليا، وخرج من الثنية السفلى، وخرج إلى العيد في طريق ورجع في طريق آخر، وحوَّل رداءه في الاستسقاء، وأما الجمرة الكبرى فهي جمرة العقبة وهي التي عند الشجرة، وفيه أن السنة للحاج إذا دفع من مزدلفة فوصل منى أن يبدأ بجمرة العقبة، ولا يفعل شيئاً قبل رميها، ويكون ذلك قبل نزوله، وفيه أن الرمي بسبع حصيات، وأن قدرهن بقدر حصى الخذف وهو نحو حبة الباقلاء، وينبغي ألا يكون أكبر، ولا أصغر، فإن كان أكبر، أو أصغر أجزأه بشرط كونها حجراً، ولا يجوز عند الشافعي والجمهور الرمي بالكحل، والزرنيخ، والذهب، والفضة، وغير ذلك مما لا يسمى حجراً، وجوزه أبو حنيفة بكل ما كان من أجزاء الأرض، وفيه أنه يسن التكبير مع كل حصاة، وفيه أنه يجب التفريق بين الحصيات فيرميهن واحدة واحدة، فإن رمى السبعة رمية واحدة حسب ذلك كله حصاة واحدة عندنا وعند الأكثرين، وموضع الدلالة لهذه المسألة يكبر مع كل حصاة، فهذا تصريح بأنه رمى كل حصاة وحدها، وفيه أن السنة أن يقف للرمي في بطن الوادي بحيث تكون منى وعرفات والمزدلفة عن يمينه، ومكة عن يساره، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة، وقيل يقف مستقبل الكعبة، وكيفما رمى أجزأه بحيث يسمى رمياً بما يسمى حجراً.**

**وأما حكم الرمي: فالمشروع منه يوم النحر رمى جمرة العقبة لا غير بإجماع المسلمين، وهو نسك بإجماعهم، ومذهبنا أنه واجب ليس بركن، فإن تركه حتى فاتته أيام الرمي عصى، ولزمه دم، وصح حجه، وقال مالك: يفسد حجه، ويجب رميها بسبع حصيات؛ فلو بقيت منهن واحدة لم تكفه الست.**

**قوله: (ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر، وأشركه في هديه) فيه دليل على أن المنحر موضع معين من منى، وحيث ذبح منها، أو من الحرم أجزأه، وفيه استحباب تكثير الهدى، وكان هدى النبي صلى الله عليه وسلم في تلك السنة مائة بدنة، وفيه استحباب ذبح المهدي هديه بنفسه، وجواز الاستنابة فيه وذلك جائز بالإجماع إذا كان النائب مسلماً.**

**وقوله: (ما غبر) أي ما بقى، وفيه استحباب تعجيل ذبح الهدايا، وإن كانت كثيرة في يوم النحر، ولا يؤخر بعضها إلى أيام التشريق.**

**وأما قوله: (وأشركه في هديه) فظاهره أنه شاركه في نفس الهدي، قال القاضي عياض: وعندي أنه لم يكن تشريكاً حقيقة، بل أعطاه قدراً يذبحه، والظاهر أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر البدن التي جاءت معه من المدينة، وكانت ثلاثاً وستين كما جاء في رواية الترمذي، وأعطى علياً البدن التي جاءت معه من اليمن وهي تمام المائة.**

**قوله: (أمر من كل بدنة ببَضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها، وشربا من مرقها) البضعة: هي القطعة من اللحم، وفيه استحباب الأكل من هدي التطوع، وأضحيته، قال العلماء: لما كان الأكل من كل واحدة سنة، وفي الأكل من كل واحدة من المائة منفردة كلفة؛ جعلت في قدر؛ ليكون آكلاً من مرق الجميع الذي فيه جزء من كل واحدة، ويأكل من اللحم المجتمع في المرق ما تيسر، وأجمع العلماء على أن الأكل من هدي التطوع وأضحيته سنة ليس بواجب.**

**قوله: (ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر) هذا الطواف هو طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج بإجماع المسلمين، وأول وقته عندنا من نصف ليلة النحر، وأفضله بعد رمي جمرة العقبة، وذبح الهدى، والحلق، ويكون ذلك ضحوة يوم النحر، ويجوز في جميع يوم النحر بلا كراهة، ويكره تأخيره عنه بلا عذر، وتأخيره عن أيام التشريق أشد كراهة، ولا يحرم تأخيره سنين متطاولة، ولا آخر لوقته بل يصح ما دام الإنسان حياً، وشرطه أن يكون بعد الوقوف بعرفات حتى لو طاف للإفاضة بعد نصف ليلة النحر قبل الوقوف، ثم أسرع إلى عرفات فوقف قبل الفجر لم يصح طوافه؛ لأنه قدمه على الوقوف، واتفق العلماء على أنه لا يشرع في طواف الإفاضة رمل، ولا اضطباع إذا كان قد رمل، واضطبع عقب طواف القدوم، ولو طاف بنية الوداع، أو القدوم، أو التطوع، وعليه طواف إفاضة وقع عن طواف الإفاضة بلا خلاف عندنا نص عليه الشافعي، واتفق الأصحاب عليه كما لو كان عليه حجة الإسلام فحج بنية قضاء، أو نذر، أو تطوع، فإنه يقع عن حجة الإسلام، وقال أبو حنيفة وأكثر العلماء: لا يجزئ طواف الإفاضة بنية غيره، واعلم أن طواف الإفاضة له أسماء فيقال أيضاً: طواف الزيارة، وطواف الفرض، والركن، وسماه بعض أصحابنا: طواف الصدر، وأنكره الجمهور قالوا: وإنما طواف الصدر طواف الوداع.**

**وفي هذا الحديث استحباب الركوب في الذهاب من منى إلى مكة، ومن مكة إلى منى، ونحو ذلك من مناسك الحج.**

**قوله(فأفاض إلى البيت فصلى الظهر) فيه محذوف تقديره فأفاض فطاف بالبيت طواف الإفاضة، ثم صلى الظهر فحذف ذكر الطواف لدلالة الكلام عليه.**

**وأما قوله (فصلى بمكة الظهر) فقد جاء في أحاديث طواف الإفاضة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر، فصلى الظهر بمنى.**

**ووجه الجمع بينهما: أنه صلى الله عليه وسلم طاف للإفاضة قبل الزوال، ثم صلى الظهر بمكة في أول وقتها، ثم رجع إلى منى فصلى بها الظهر مرة أخرى بأصحابه حين سألوه ذلك، فيكون متنفلاً بالظهر الثانية التي بمنى.**

**وأما الحديث الوارد عن عائشة وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم أخَّر الزيارة يوم النحر إلى الليل فمحمول على أنه عاد للزيارة مع نسائه؛ لا لطواف الإفاضة، ولا بد من هذا التأويل للجمع بين الأحاديث.**

**قوله: (فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال: انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه) انزعوا: أي استقوا بالدلاء، وانزعوها بالرشاء.**

**وأما قوله فأتى بني عبد المطلب فمعناه: أتاهم بعد فراغه من طواف الإفاضة.**

**وقوله: (يسقون على زمزم) معناه: يغرفون بالدلاء، ويصبونه في الحياض ونحوها، ويسبلونه للناس.**

**وقوله صلى الله عليه وسلم: لولا أن يغلبكم الناس لنزعت معكم معناه: لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج، ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم، ويدفعونكم عن الاستقاء؛ لاستقيت معكم؛ لكثرة فضيلة هذا الاستقاء، وفيه فضيلة العمل في هذا الاستقاء، واستحباب شرب ماء زمزم، وأما زمزم فهي البئر المشهورة في المسجد الحرام بينها وبين الكعبة ثمان وثلاثون ذراعاً، قيل سميت زمزم لكثرة مائها، يقال ماء زمزوم، وزمزم وزمازم إذا كان كثيراً، وقيل: لضم هاجر رضي الله عنها لمائها حين انفجرت وزمها إياه، وقيل: لزمزمة جبريل عليه السلام وكلامه عند فجره إياها، وقيل: إنها غير مشتقة.**

**قوله: (وكانت العرب يدفع بهم أبو سيّارة) أي كان يدفع بهم في الجاهلية.**

**قوله: (فلما أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم من المزدلفة بالمشعر الحرام لم تشك قريش أنه سيقتصر عليه ويكون منزله ثَمَّ، فأجاز ولم يعرض له حتى أتى عرفات فنزل) أجاز: أي جاوز، والمعنى أن قريشاً كانت قبل الإسلام تقف بالمزدلفة وهي من الحرم، ولا يقفون بعرفات، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، وكانت قريش تقول نحن أهل الحرم فلا نخرج منه، فلما حج النبي صلى الله عليه وسلم ووصل المزدلفة اعتقدوا أنه يقف بالمزدلفة على عادة قريش، فجاوز إلى عرفات لقول الله عز وجل: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس أي جمهور الناس، فإن من سوى قريش كانوا يقفون بعرفات، ويفيضون منها.**

**قوله صلى الله عليه وسلم: نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم، ووقفت ها هنا وعرفة كلها موقف، ووقفت ها هنا وجمع كلها موقف في هذه الألفاظ بيان رفق النبي صلى الله عليه وسلم بأمته، وشفقته عليهم في تنبيههم على مصالح دينهم ودنياهم، فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر لهم الأكمل، والجائز، فالأكمل موضع نحره ووقوفه، والجائز كل جزء من أجزاء المنحر، وجزء من أجزاء عرفات، وخيرهن أجزاء المزدلفة، وأما عرفات فحدُّها ما جاوز وادي عرنة إلى الجبال القابلة مما يلي بساتين ابن عامر هكذا نص عليه الشافعي وجميع أصحابه، ونقل الأزرقي عن ابن عباس أنه قال: حد عرفات من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفات، إلى وَصِيق إلى ملتقى وصيق وادي عرنة.**

**قال الشافعي وأصحابنا: يجوز نحر الهدى ودماء الحيوانات في جميع الحرم، لكن الأفضل في حق الحاج النحر بمنى، وأفضل موضع منها للنحر موضع نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قاربه، والأفضل في حق المعتمر أن ينحر في المروة لأنها موضع تحلله كما أن منى موضع تحلل الحاج، قالوا: ويجوز الوقوف بعرفات في أي جزء كان منها، وكذا يجوز الوقوف على المشعر الحرام، وفي كل جزء من أجزاء المزدلفة لهذا الحديث.**

**قوله صلى الله عليه وسلم: ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم المراد بالرحال: المنازل، قال أهل اللغة: رحل الرجل منزله سواء كان من حجر، أو مدر، أو شعر، أو وبر، والمعنى أن منى كلها منحر يجوز النحر فيها فلا تتكلفوا النحر في موضع نحري بل يجوز لكم النحر في منازلكم من منى.**

**قوله: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى الحجر فاستلمه، ثم مشى على يمينه فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً) فيه أن السنة للحاج أن يبدأ أول قدومه بطواف القدوم، ويقدمه على كل شيء، وأن يستلم الحجر الأسود في أول طوافه، وأن يرمل في ثلاث طوفات من السبع، ويمشى في الأربع الأخيرة.[1]**

* **هكذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم**

**الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين.**

**أيها المسلمون من حجاج بيت الله الحرام: أسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضيه، والعافية من مضلات الفتن، كما أسأله سبحانه أن يوفقكم جميعاً لأداء مناسككم على الوجه الذي يرضيه، وأن يتقبل منكم، وأن يردكم إلى بلادكم سالمين موفقين، إنه خير مسؤول.**

**أيها المسلمون: إن وصيتي للجميع هي تقوى الله سبحانه في جميع الأحوال، والاستقامة على دينه، والحذر من أسباب غضبه، وإن أهم الفرائض وأعظم الواجبات هو توحيد الله، والإخلاص له في جميع العبادات، مع العناية باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأعمال، وأن تؤدوا مناسك الحج وسائر العبادات على الوجه الذي شرعه الله لعباده على لسان رسوله وخليله وصفوته من خلقه نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.**

**وإن أعظم المنكرات، وأخطر الجرائم؛ هو الشرك بالله سبحانه: وهو صرف العبادة أو بعضها لغيره سبحانه لقول الله عز وجل: إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء (النساء:48)، وقوله سبحانه مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(الزمر:65).**

**حجاج بيت الله الحرام: إن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد هجرته إلى المدينة إلا حجة واحدة وهي حجة الوداع وذلك في آخر حياته صلى الله عليه وسلم، وقد علم الناس فيها مناسكهم بقوله وفعله، وقال لهم صلى الله عليه وسلم: ((خذوا عني مناسككم [1].**

**فالواجب على المسلمين جميعاً أن يتأسوا به في ذلك، وأن يؤدُّوا مناسكهم على الوجه الذي شرعه لهم؛ لأنه صلى الله عليه وسلم هو المعلم المرشد، وقد بعثه الله رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين، وأمر الله عباده بأن يطيعوه، وبيَّن أن أتباعه هو سبب دخول الجنة، والنجاة من النار، وأنه الدليل على صدق حب العبد لربه، وعلى حب الله للعبد كما قال الله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا (الحشر: 7)، وقال سبحانه: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (النور: 56)، وقال عز وجل: مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ (النساء: 80)، وقال سبحانه: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (الأحزاب: 21)، وقال سبحانه: تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ(النساء: 13، 14)، وقال عز وجل: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (الأعراف: 158)، وقال تعالى: قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (آل عمران: 31)، والآيات في هذا المعنى كثيرة، فوصيتي لكم جميعاً، ولنفسي؛ تقوى الله في جميع الأحوال، والصدق في متابعة نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله لتفوزوا بالسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.**

**حجاج بيت الله الحرام: إن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لما كان يوم الثامن من ذي الحجة توجَّه من مكة المكرمة إلى منى ملبياً، وأمر أصحابه رضي الله عنهم أن يهلُّوا بالحج من منازلهم، ويتوجهوا إلى منى، ولم يأمر بطواف الوداع، فدلّ ذلك على أن السنّة لمن أراد الحج من أهل مكة وغيرهم من المقيمين فيها والمحلين من عمرتهم وغيرهم من الحجاج أن يتوجهوا إلى منى في اليوم الثامن ملبِّين بالحج، وليس عليهم أن يذهبوا إلى المسجد الحرام للطواف بالكعبة طواف الوداع.**

**ويستحب للمسلم عند إحرامه بالحج أن يفعل ما يفعله في الميقات عند الإحرام: من الغسل، والطيب، والتنظيف، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة بذلك لما أرادت الإحرام بالحج، وكانت قد أحرمت بالعمرة، فأصابها الحيض عند دخول مكة، وتعذر عليها الطواف قبل خروجها إلى منى، فأمرها صلى الله عليه وسلم أن تغتسل، وتهلّ بالحج، ففعلت ذلك، فصارت قارنة بين الحج والعمرة.**

**وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم في منى الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، والفجر قصراً دون جمع، وهذا هو السنة تأسياً به صلى الله عليه وسلم.**

**ويسن للحجاج في هذه الرحلة أن يشتغلوا بالتلبية، وبذكر الله عز وجل، وقراءة القرآن وغير ذلك من وجوه الخير كالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الفقراء.**

**فلما طلعت الشمس يوم عرفة توجَّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم إلى عرفات، منهم من يلبي، ومنهم من يكبر، فلما وصل عرفات نزل بقبة من شعر ضربت له بنمرة غربي عرفة، واستظل بها عليه الصلاة والسلام، فدل ذلك على جواز أن يستظل الحجاج بالخيام والشجر ونحوها.**

**فلما زالت الشمس ركب دابته عليه الصلاة والسلام، وخطب الناس وذكَّرهم، وعلَّمهم مناسك حجهم، وحذَّرهم من الربا وأعمال الجاهلية، وأخبرهم أن دماءهم وأموالهم وأعراضهم عليهم حرام، وأمرهم بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأخبرهم أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.**

**فالواجب على جميع المسلمين أن يلتزموا بهذه الوصية، وأن يستقيموا عليها أينما كانوا، ويجب على حكام المسلمين جميعاً أن يعتصموا بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يحكِّموها في جميع شئونهم، وأن يُلزموا شعوبهم بالتحاكم لهما، وذلك هو طريق العزة والكرامة، والسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة. وفق الله الجميع لذلك.**

**ثم إنه صلى الله عليه وسلم صلى بالناس الظهر والعصر قصراً وجمعاً جمع تقديم بأذان واحد وإقامتين بعد زوال الشمس، ولم يفصل بينهما بصلاة.**

**ثم توجه إلى الموقف، واستقبل القبلة، ووقف على دابته يذكر الله ويدعوه، ويرفع يديه بالدعاء حتى غابت الشمس، وكان مفطراً ذلك اليوم، فعلم بذلك أن المشروع للحجاج أن يفعلوا كفعله صلى الله عليه وسلم في عرفات، وأن يشتغلوا بذكر الله، والدعاء، والتلبية إلى غروب الشمس، وأن يرفعوا أيديهم بالدعاء، وأن يكونوا مفطرين لا صائمين.**

**وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من يوم أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة، وإنه سبحانه ليدنو فيباهي بهم ملائكته [2]، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أن الله يقول يوم عرفة لملائكته: انظروا إلى عبادي أتوني شُعثاً غبراً، يرجون رحمتي أشهدكم أني قد غفرت لهم [3]، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف [4].**

**ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الغروب توجه ملبياً إلى مزدلفة، وصلى بها المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين بأذان واحد وإقامتين قبل حط الرحال، ولم يصل بينهما شيئاً، فدلَّ ذلك على أن المشروع لجميع الحجاج المبادرة بصلاة المغرب والعشاء جمعاً وقصراً بأذان واحد وإقامتين من حين وصولهم إلى مزدلفة قبل حط الرحال، ولو كان ذلك في وقت المغرب تأسياً به صلى الله عليه وسلم، وعملاً بسنته.**

**ثم بات بها، وصلى بها الفجر مع سنتها بأذان وإقامة، ثم أتى المشعر فذكر الله عنده وكبَّره، وهلله ودعا ورفع يديه، وقال: وقفت ها هنا وجمع كلها موقف فدلَّ ذلك على أن جميع مزدلفة موقف للحجاج يبيت كل حاج في مكانه، ويذكر الله ويستغفره في مكانه، ولا حاجة إلى أن يتوجه إلى موقف النبي صلى الله عليه وسلم، وقد رخَّص النبي صلى الله عليه وسلم ليلة مزدلفة للضعفة أن ينصرفوا إلى منى بليل، فدل ذلك على أنه لا حرج على الضعفة من النساء والمرضى والشيوخ ومن تبعهم في التوجه من مزدلفة إلى منى في النصف الأخير من الليل عملاً بالرخصة، وحذراً من مشقة الزحمة، ويجوز لهم أن يرموا الجمرة ليلاً كما ثبت ذلك عن أم سلمة وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم.**

**وذكرت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للنساء بذلك، ثم إنه صلى الله عليه وسلم بعد ما أسفر جداً دفع إلى منى ملبياً فقصد جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، ثم نحر هديه، ثم حلق رأسه، ثم طيبته عائشة رضي الله عنها.**

**ثم توجه إلى البيت فطاف به، وسُئل صلى الله عليه وسلم في يوم النحر عمن ذبح قبل أن يرمي، ومن حلق قبل أن يذبح، ومن أفاض إلى البيت قبل أن يرمي، فقال: ((لا حرج ، قال الراوي: فما سئل يومئذ عن شيء قدَّم ولا أخَّر إلا قال: افعل ولا حرج [5]، فعُلم بهذا أن السنَّة للحُجاج أن يبدأوا برمي الجمرة يوم العيد، ثم ينحروا إذا كان عليهم هدي، ثم يحلقوا أو يقصروا والحلق أفضل من التقصير؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بالمغفرة والرحمة ثلاث مرات للمحلقين، ومرة واحدة للمقصرين، وبذلك يحصل للحاج التحلل الأول فيلبس المخيط، ويتطيب، ويباح له كل شيء حُرِّم عليه بالإحرام إلا النساء.**

**ثم يذهب إلى البيت فيطوف به في يوم العيد أو بعده، ويسعى بين الصفا والمروة إن كان متمتعاً، وبذلك يحلُّ له كل شيء حَرُمَ عليه بالإحرام حتى النساء.**

**أما إن كان الحاج مفرداً أو قارناً فإنه يكفيه السعي الأول الذي أتى به مع طواف القدوم، فإن لم يسع مع طواف القدوم وجب عليه أن يسعى مع طواف الإفاضة، ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى منى فأقام بها بقية يوم العيد، واليوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر يرمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق بعد الزوال، يرمي كل جمرة بسبع حصيات، ويكبِّر مع كل حصاة، ويدعو ويرفع يديه بعد الفراغ من الجمرة الأولى والثانية، ويجعل الأولى عن يساره، والثانية عن يمينه، ولا يقف عند الثالثة، ثم دفع صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث عشر بعد رمي الجمرات فنزل بالأبطح، وصلى بها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.**

**ثم نزل إلى مكة في آخر الليل، وصلى الفجر بالناس عليه الصلاة والسلام، وطاف للوداع قبل الصلاة، ثم توجَّه بعد الصلاة إلى المدينة في صبيحة اليوم الرابع عشر عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم.**

**فعُلِم من ذلك أن السنَّة للحاج أن يفعل كفعله صلى الله عليه وسلم في أيام منى، فيرمي الجمار الثلاث بعد الزوال في كل يوم كل واحدة بسبع حصيات، ويكبِّر مع كل حصاة، ويشرع له أن يقف بعد رميه الأولى، ويستقبل القبلة، ويدعو ويرفع يديه، ويجعلها عن يساره، ويقف بعد رمي الثانية كذلك، ويجعلها عن يمينه، وهذا مستحب وليس بواجب، ولا يقف بعد رمي الثالثة، فإن لم يتيسر له الرمي بعد الزوال وقبل غروب الشمس رمى في الليل عن اليوم الذي غابت شمسه إلى آخر الليل في أصح قولي العلماء رحمة من الله سبحانه بعباده، وتوسعة عليهم، ومن شاء أن يتعجل في اليوم الثاني عشر بعد رمي الجمار فلا بأس، ومن أحب أن يتأخر حتى يرمي الجمار في اليوم الثالث عشر فهو أفضل؛ لكونه موافقاً لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، والسنَّة للحاج أن يبيت في منى ليلة الحادي عشر والثاني عشر، وهذا المبيت واجب عند كثير من أهل العلم، ويكفي أكثر الليل إذا تيسر ذلك، ومن كان له عذر شرعي كالسقاة والرعاة ونحوهم فلا مبيت عليه، أما ليلة الثالث عشر فلا يجب على الحجاج أن يبيتوها بمنى إذا تعجلوا ونفروا من منى قبل الغروب في اليوم الثاني عشر، أما من أدركه المبيت بمنى فإنه يبيت ليلة الثالث عشر، ويرمي الجمار بعد الزوال ثم ينفر، وليس على أحد رمي بعد الثالث عشر ولو أقام بمنى.**

**ومتى أراد الحاج السفر إلى بلاده وجب عليه أن يطوف بالبيت للوداع سبعة أشواط؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا ينفرن أحد منكم حتى يكون آخر عهده بالبيت [6] إلا الحائض والنفساء فلا وداع عليهما لما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض [7] متفق على صحته، والنفساء مثلها.**

**ومن أخَّر طواف الإفاضة فطاف عند السفر أجزأه عن الوداع لعموم الحديثين المذكورين، وأسال الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يتقبل منا ومنكم، ويجعلنا وإياكم من العتقاء من النار، إنه ولي ذلك، والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.**

* **حجة الوداع كما يرويها جابر**

**عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:**

**'دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَسَأَلَ عَنْ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ؛ فَقَالَ: مَرْحَباً بِكَ، يَا ابْنَ أَخِي سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ وَهُوَ أَعْمَى، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ (ثوب ملفق على هيئة الطيلسان)، مُلْتَحِفاً بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا، وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ عَلَى الْمِشْجَبِ (عيدان تضم رؤوسها، ويفرج بين قوائمها توضع عليها الثياب)، فَصَلَّى بِنَا.**

**فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

**فَقَالَ بِيَدِهِ (أي أشار بها)، فَعَقَدَ تِسْعاً، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌّ؛ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي .**

**فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ (ناقة النبي)، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ، وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ.**

**فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ 'لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ'، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْئاً مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَتَهُ.**

**قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثاً وَمَشَى أَرْبَعاً، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَرَأَ: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ: وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنْ الصَّفَا قَرَأَ إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ: لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقْ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً ، فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: دَخَلَتْ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ لَا بَلْ لِأَبَدٍ أَبَدٍ .**

**وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنْ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَاباً صَبِيغاً، وَاكْتَحَلَتْ؛ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا، قَالَ: فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَرِّشاً (أي يذكر له ما يقتضي عتابها) عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ مُسْتَفْتِياً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ ، قَالَ: قُلْتُ: 'اللَّهُمَّ إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ'، قَالَ: فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ ، قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنْ الْيَمَنِ، وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةً.**

**قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَقَصَّرُوا؛ إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ.**

**فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ، وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلاً حَتَّى طَلَعَتْ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ؛ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتْ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ؛ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ؛ كَانَ مُسْتَرْضِعاً فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِباً أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ.**

**فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئاً، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفاً حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتْ الصُّفْرَةُ قَلِيلاً حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ (المورك هو الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل إذا ملء الركوب)، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ ؛ كُلَّمَا أَتَى حَبْلاً مِنْ الْحِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلاً حَتَّى تَصْعَدَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئاً، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ؛ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ، وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ، وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفاً حَتَّى أَسْفَرَ جِدّاً؛ فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ وَكَانَ رَجُلاً حَسَنَ الشَّعْرِ، أَبْيَضَ، وَسِيماً، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ (جمع ظعينة وهو البعير الذي عليه امرأة) يَجْرِينَ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنْ الشِّقِّ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنْ الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ فَحَرَّكَ قَلِيلاً، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثاً وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيّاً فَنَحَرَ مَا غَبَرَ (أي ما بقي)، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا، وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ ، فَنَاوَلُوهُ دَلْواً فَشَرِبَ مِنْهُ.**

**وفي روايةَ:**

**وَكَانَتْ الْعَرَبُ يَدْفَعُ بِهِمْ أَبُو سَيَّارَةَ عَلَى حِمَارٍ عُرْيٍ، فَلَمَّا أَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمُزْدَلِفَةِ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ؛ لَمْ تَشُكَّ قُرَيْشٌ أَنَّهُ سَيَقْتَصِرُ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ مَنْزِلُهُ ثَمَّ؛ فَأَجَازَ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ حَتَّى أَتَى عَرَفَاتٍ فَنَزَلَ.**

**وفي رواية:**

**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: نَحَرْتُ هَاهُنَا، وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، فَانْحَرُوا فِي رِحَالِكُمْ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ .**

**وفي رواية:**

**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أَتَى الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَه،ُ ثُمَّ مَشَى عَلَى يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثاً، وَمَشَى أَرْبَعاً.**

**12- زيارة المدينة النبوية**

* **فضل المسجد النبوي**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:**

**فإن المسجد النبوي الشريف يعدُّ أهم معالم المدينة المنورة، وله فضل كبير، ومنزلة عظيمة عند المسلمين، إذ اختار موقعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر وصوله إلى المدينة مهاجراً، وشارك في بنائه بيديه الشريفتين مع أصحابه رضوان الله عليهم، وصار مقر قيادته، وقيادة الخلفاء الراشدين من بعده، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائله تبين أهميته ومكانته بين كافة مساجد الإسلام، ومن أبرز هذه الفضائل:**

**1. يذهب كثير من المفسرين[1] إلى أن المسجد المذكور في قوله تعالى: لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (التوبة:108) إنما هو المسجد النبوي، ويستدلون لذلك بما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: 'دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت: يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال : هو مسجدكم هذا لمسجد المدينة' رواه مسلم (1398)، وعنه رضي الله عنه أيضاً قال: 'تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هو مسجدي هذا [2] قال الإمام النووي رحمه الله: 'قوله: 'فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: هو مسجدكم هذا لمسجد المدينة' هذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في القرآن، وردٌ لما يقول بعض المفسرين أنه مسجد قباء، وأما أخذه صلى الله عليه وسلم الحصباء، وضربه في الأرض؛ فالمراد به المبالغة في الإيضاح لبيان أنه مسجد المدينة'[3]. غير أنه قد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية فيهم ([4])، وليس بين الحديثين تعارض. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ' فالمسجدان: المسجد النبوي ومسجد قباء كلاهما أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد قباء أسس من أول يوم نزل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم تلك القرية، وكذلك مسجد المدينة أسس من أول يوم وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فكلاهما أسس من أول يوم'([5]).**

**2. أن النبي صلى الله عليه وسلم نوِّه بفضله، وأشار إلى مزاياه؛ فتراه يذكر بيان فضل الصلاة فيه، وزيادة ثوابها على غيرها فيما سواه سوى المسجد الحرام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام رواه البخاري (1133)، ومسلم (1394)، وتارة يذكر فضيلة من أتاه قاصداً التعلم في جوانبه، أو التماس العلم في حلقه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه؛ فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره [6]، وتارة يذكر أن شدَّ الرحال حتى ولو كانت من الأماكن البعيدة لا تكون إلا إلى ثلاثة مساجد من بينها المسجد النبوي الشريف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى رواه البخاري (1132) ومسلم (1397).**

**middot; كما أن من فضائل المسجد النبوي وجود الروضة الشريفة التي يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي رواه البخاري (1138) مسلم (1391).**

**middot; ومن فضائله أنه شهد معظم أحداث السيرة النبوية التي هي جوهر الدين، وأس بنائه، وأصل نشأته، ففي هذا المسجد الكريم كانت خُطب النبي صلى الله عليه وسلم البليغة الموجزة، المؤثرة المعبرة، وفيه دروس العلم والتربية، وفيه إمامته صلى الله عليه وسلم بالمسلمين ليلاً ونهاراً لأداء الصلاة، وفيه كان استقبال الوفود الكثيرة التي وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم لإعلان الإسلام، أو للمفاوضة في أمر، والمناقشة حول قضية.**

**middot; وفي هذا المسجد الكريم حصلت معجزات نطقت بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كحنين الجذع إليه. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: ' كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر وكان عليه ، فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت.' رواه البخاري ( 3585 )**

**middot; أنه مهبط كثير من الوحي: ففي هذا المسجد الكريم نزل جبريل الأمين بالوحي أكثر من أي مكان آخر؛ يلقي في روع النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه كلامَ الله تعالى، وأوامره ونواهيه وأحكامه.**

**middot; أنه كان منطلقاً لكثير من الغزوات التي غيَّرت وجه التاريخ: ففيه عُقدت ألوية كثيرة للجهاد كأحد والأحزاب وتبوك ومؤته والفتح، وطرحت قضايا مصيرية للمسلمين، وقضي فيه أمور خطيرة، وخلافات مهمة.**

**وبالعموم فإن فضائل المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة، وأتم التسليم كثيرة، وكيف لا وهو مسجد سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعليه آله وصحبه أجمعين.**

**نسأل الله تعالى أن يبلغنا زيارته، وأن يرزقنا الصلاة في روضته، والحمد لله رب العالمين.**

* **معالم المدينة المنورة**

**تزخر المدينة المنورة - على صاحبها أفضل الصلاة، وأتم التسليم - بالمعالم الكثيرة التي ارتبطت بالنبي صلى الله عليه وسلم ارتباطاً كبيراً، فلا تكاد تقع عينك على بقعة من بقاعها إلا وتتذكر أن هذه الأرض قد وطئتها قدم النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة، وسارت في دروبها.**

**ومن أهم هذه المعالم:**

**1. المسجد النبوي:**

**وكان بناء هذا المسجد بعدما قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجراً من مكة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: 'قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم 'بنو عمرو بن عوف'، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى بني النجار فجاؤوا متقلدي السيوف، كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته، وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار حوله، حتى ألقى بفناء أبي أيوب، وكان يحب أن يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، وأنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأ من بني النجار فقال: ((يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا ، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فقال أنس: فكان فيه ما أقول لكم: قبور المشركين، وفيه خَرِبٌ، وفيه نخل، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنشبت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قِبْلَةَ المسجد، وجعلوا عِضَادَتَيْهِ الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي صلى الله عليه وسلم معهم، وهو يقول:**

**اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة'**

**رواه البخاري (418) ومسلم (524).**

**وهذا المسجد له فضائل كثيرة، فهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه الروضة الشريفة، وفيه تضاعف الصلاة إلى ألف صلاة، إلى غير ذلك من الفضائل الكثيرة.**

**2. مسجد قباء:**

**ومسجد قباء هو أول مسجد بُني في الإسلام عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى قباء مهاجراً من مكة، وقد شارك في وضع أحجاره الأولى، وبناه مع الصحابة[1]رضي الله عنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصده بين الحين والآخر ليصلى فيه، فكان يأتيه تارة راكباً، وتارة ماشياً فيصلي فيه ركعتين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: 'كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قباء راكباً وماشياً،- زاد ابن نمير - فيصلي فيه ركعتين' رواه البخاري (1194)، ومسلم (1399)، وعند البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم 'كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً، وكان عبد الله رضي الله عنه يفعله' البخاري (1193).**

**وكان يحضُّ على زيارته فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة ([2]).**

**وهذا المسجد يقع في الجنوب الغربي للمدينة، ويبعد عن المسجد النبوي قرابة خمسة كيلو مترات.**

**3. البقيع:**

**وهو مقبرة المدينة تقع شرقي المسجد النبوي، دفن فيها كثير من الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم أجمعين، ودفنت فيه أمهات المؤمنين وبناته رضي الله عنهن، ومن أجلِّ الصحابة المدفونين به الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.**

**وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من الليل إلى البقيع فيستغفر لأهل البقيع ويدعو لهم. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في آخر الليل إلى البقيع فيقول: ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا وإياكم متواعدون غداً أو مواكلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد [3].**

**4. جبل أحد:**

**وجبل أحد يقع شمال المدينة، ويبعد عن المسجد النبويّ خمسة ونصف كيلو متر، وطوله ستة كيلومترات، وارتفاعه ثلاثمائة وخمسين متراً[4].**

**وهو جبل عظيم له مكانة عند النبي صلى الله عليه وسلم وعند المؤمنين. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً، وبدا له أحد قال: ((هذا جبل يحبنا ونحبه رواه البخاري (2732)، ومسلم (3387).**

**وهو الجبل الذي وقعت عنده معركة أحد في السنة الثالثة من الهجرة، ويوجد بجانبه قبور الشهداء الذين استشهدوا في تلك المعركة ومنهم حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم أسد الله ورسوله.**

**5. جبل عَيْنَيْن، أو جبل الرماة:**

**هو جبل صغير بجانب مقبرة الشهداء، ويفصل بينهما وادي قناة، وهذا الجبل هو الذي وضع النبي صلى الله عليه وسلم عليه خمسين رامياً في معركة أحد.**

**6. مقبرة شهداء أحد:**

**وتقع شمال المسجد النبوي على بعد خمسة كيلومترات عند قاعدة جبل أحد، وسميت بهذا الاسم لأنها تضم سبعين من الصحابة الذين استشهدوا في غزوة أحد، ومنهم عم النبي صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهم أجمعين.**

**7. جبل سلع:**

**جبل عظيم شامخ وهو أحد جبال المدينة المنورة، ويقع غربي المسجد النبوي على بعد خمسمائة متر أو أقل، ويبلغ طول الجبل ألف متر تقريباً، وارتفاعه ثمانين متراً، ويمتد من الشمال إلى الجنوب، وتتفرع منه أجزاء في وسطه على شكل أجنحة قصيرة باتجاه الشرق والغرب، وقد كانت وقعة الخندق عنده حيث جعله النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره يحتمي به[5].**

**8. عَيْر وثور:**

**وهما اسما جبلين من جبال المدينة، أولهما عظيم شامخ يقع جنوبي المدينة على بعد حوالي ثمانية كيلومترات، شرقي وادي العقيق قرب ذي الحليفة - آبار علي -، ويحدُّ المدينة من جهة الجنوب.**

**وثانيهما: جبل أحمر صغير يقع خلف جبل أحد من جهة الشمال كأنه ثور رابض، ورأسه متجه صوب الجنوب الغربي، وهو حدُّ المدينة المنورة من الجهة الشمالية.**

**وهذان الجبلان يحدَّان حرم المدينة جنوباً وشمالاً كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((المدينة حرم ما بين عير إلى ثور رواه البخاري (6374)، ومسلم (1370).**

**9. وادي العقيق:**

**عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بوادي العقيق يقول: ((أتاني الليلة آت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة رواه البخاري (1461)، ومسلم (1346)، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رؤي وهو في معرس - المعرس موضع النزول - بذي الحليفة ببطن الوادي قيل له: ((إنك ببطحاء مباركة)) رواه البخاري (1462) ومسلم (1346).**

**والعقيق: الوادي الذي شقه السيل قديماً، وهو في بلاد العرب عدة مواضع منها العقيق الأعلى عند مدينة النبي صلى الله عليه وسلم مما يلي الحرَّة إلى منتهى البقيع، ومنها العقيق الأسفل وهو أسفل من ذلك، ومنها العقيق الذي يجري ماؤه من غوري تهامة وأوسطه بحذاء ذات عرق[6].**

**أما ما تسنّ زيارته من هذه المعالم، فقد قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في فتاوى الحج:**

**' نحن ذكرنا أنه لا يزار سوى هذه الخمسة التي هي: مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وقبره، وقبر صاحبيه، وهذه القبور الثلاثة في مكان واحد، والبقيع وفيه قبر عثمان رضي الله عنه، وشهداء أحد وفيهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، ومسجد قباء. وما عدا ذلك فإنه لا يزار. أما غيرها مما لم تذكر، فكل هذا لا أصل لزيارته، وزيارته بقصد التعبد لله تعالى بدعة، لأن ذلك لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز لأحد أن يثبت لزمان أو مكان أو عمل، أن فعله أو قصده قربه إلا بدليل من الشرع'**

**نسأل الله بمنِّه وكرمه أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، ويرزقنا حسن الاتباع، ويجنبنا الابتداع.**

**والحمد لله رب العالمين.**

* **فضائل المدينة والسكنى فيها**

**الحمد لله القائل: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:**

**فقد تفَّرد الله سبحانه وتعالى باختيار من يختاره ويختصه من الأشخاص، والأوامر، والأزمان، والأماكن، ومما فضَّله الله سبحانه وتعالى من الأماكن مدينة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، إذ جعلها حرم رسوله صلى الله عليه وسلم، ودار هجرته، ومهبط وحيه.**

**ونحب هنا أن نذكر جملة من فضائل هذه المدينة المباركة:**

**1- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّمها كما حرَّم سيدنا إبراهيم عليه السلام مكة: فعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن إبراهيم حرم مكة، ودعا لها، وحرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة)) رواه البخاري (2129).**

**2- أنه قد ورد الوعيد الشديد على من أحدث في المدينة حدثاً، أو آوى محدثاً فيها: فعن علي رضي الله عنه قال: 'ما عندنا شيء إلا كتاب الله، وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم: المدينة حرم ما بين عائر (جبل بقرب المدينة) إلى كذا، من أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل... رواه البخاري (1870) قال ابن بطال: 'دلَّ الحديث على أن من أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً في غير المدينة؛ أنه غير متوعد بمثل ما توعد به من فعل ذلك بالمدينة، وإن كان قد علم أن من آوى أهل المعاصي أنه يشاركهم في الإثم؛ فإن من رضي فعل قوم وعملهم؛ التحق بهم، ولكن خُصَّت المدينة بالذكر لشرفها لكونها مهبط الوحي، وموطن الرسول عليه الصلاة والسلام، ومنها انتشر الدين في أقطار الأرض، فكان لها بذلك مزيد فضل على غيرها، وقال غيره: السر في تخصيص المدينة بالذكر أنها كانت إذ ذاك موطن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم صارت موضع الخلفاء الراشدين'([1]).**

**3- أن من أراد أهلها بسوء أذابه الله في النار كما يذوب الملح: فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء رواه مسلم (1363)، وفي لفظ عند البخاري: لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع (أي ذاب) كما ينماع الملح في الماء رواه البخاري (1877).**

**4- أن الله تعالى جعلها مدخل صدق: فقال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً (الإسراء:80) قال قتادة: وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ يعني: المدينة، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ يعني: مكة، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهذا القول هو أشهر الأقوال([2]).**

**5- أنها لا يدخلها الدجال ولا الطاعون: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال رواه البخاري (1880).**

**6- أن المدينة ترتجف بأهلها آخر الزمان فيخرج الله منها كل كافر ومنافق: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس من بلد إلا سيطؤه (يدوسه ويدخله ويفسده) الدجال، إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها (طُرق) نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات؛ فيخرج الله كل كافر ومنافق رواه البخاري (1881).**

**7- أن المدينة لا يدخلها رعب المسيح الدجال: فعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان رواه البخاري (1879)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: 'الجمع بين قوله: ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات - كما في الحديث السابق - وبين هذا الحديث: أن الرعب المنفي هو الخوف والفزع حتى لا يحصل لأحد فيها بسبب نزوله قربها شيء منه، أو هو عبارة عن غايته وهو غلبته عليها، والمراد بالرجفة الإرفاق، وهو إشاعة مجيئه، وأنه لا طاقة لأحد به، فيسارع حينئذ إليه من كان يتصف بالنفاق، أو الفسق، فيظهر حينئذ تمام أنها تنفى خبثها'([3]).**

**8- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، أو أشد، وانقل حماها إلى الجحفة، اللهم بارك لنا في مدِّنا وصاعنا رواه البخاري (6372)، ومسلم (1376)، وعن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة رواه البخاري (1885)، ومسلم (1369) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: 'أي من بركة الدنيا بقرينة قوله في الحديث الآخر: اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا ، ويحتمل أن يريد ما هو أعم من ذلك، لكن يستثنى من ذلك ما خرج بدليل كتضعيف الصلاة بمكة على المدينة، واستدل به عن تفضيل المدينة على مكة وهو ظاهر من هذه الجهة، لكن لا يلزم من حصول أفضلية المفضول في شيء من الأشياء ثبوت الأفضلية له على الإطلاق'([4]).**

**9- أن الإيمان يأرز إلى مدينة رسول الله: فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الإيمان ليأرز (يعنى ينضم إليها، ويجتمع بعضه إلى بعض) إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها رواه البخاري (1876)، ومسلم (147) قال المهلب: 'فيه أن المدينة لا يأتيها إلا المؤمن، وإنما يسوقه إليها إيمانه ومحبته في النبي صلى الله عليه وسلم، فكأن الإيمان يرجع إليها كما خرج منها أولاً، ومنها ينتشر كانتشار الحية من جحرها، ثم إذا راعها شيء رجعت إلى جحرها، فكذلك الإيمان لما دخلته الدواخل لم يقصد المدينة إلا مؤمن صحيح الإيمان'([5]).**

**10- أن المدينة قرية تأكل القرى: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون 'يثرب' وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد رواه البخاري (1871)، ومسلم (1382) قال الإمام النووي رحمه الله: 'معناه أمرت بالهجرة إليها واستيطانها، وذكروا في معنى أكلها القرى وجهين: أحدهما أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر، فمنها فتحت القرى، وغنمت أموالها وسباياها، والثاني معناه أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة، وإليها تساق غنائمها'([6]).**

**11- أن الله تعالى سماها طابة: فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله تعالى سمى المدينة طابة رواه مسلم (1385)، و'فيه استحباب تسميتها طابة، وليس فيه أنها لا تسمى بغيره فقد سماها الله تعالى المدينة في مواضع من القرآن، وسماها النبي صلى الله عليه وسلم طيبة...'([7]).**

**12- استحباب الموت في المدينة: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها؛ فإني أشفع لمن يموت بها رواه الترمذي (3917)، وأحمد (5414)، وصححه الألباني قال الإمام المناوي رحمه الله: 'قوله صلى الله عليه وسلم: من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها أي من قدر أن يقيم فيها حتى يدركه الموت فليقم بها حتى يموت، فهو تحريض على لزوم الإقامة بها ليتأتى له أن يموت بها، إطلاقاً للمسبب على سببه كما في وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آل عمران: من الآية102)، وقوله صلى الله عليه وسلم: فإني أشفع لمن يموت بها أي أخصُّه بشفاعة غير العامة زيادة في الكرامة([8]).**

**13- أن من مات فيها صابراً على لأوائها كان النبي صلى الله عليه وسلم شفيعاً له أو شهيداً: فعن أبى سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها، وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً رواه مسلم (1374)، ومعنى اللأواء: الشدة والجوع، وأما الجهد فهو المشقة، ومعنى قوله: ((شفيعاً أو شهيداً إما أن يكون أعلم بهذه الجملة هكذا، وإما أن يكون أو للتقسيم، ويكون شهيداً لبعض أهل المدينة، وشفيعاً لبقيتهم، إما شفيعاً للعاصين، وشهيداً للمطيعين، وإما شهيداً لمن مات في حياته، وشفيعاً لمن مات بعده، أو غير ذلك، قال القاضي: 'وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين، أو للعالمين في القيمة، وعلى شهادته على جميع الأمة، وقد قال صلى الله عليه وسلم في شهداء أحد: أنا شهيد على هؤلاء ، فيكون لتخصيصهم بهذا كله مزيد أو زيادة منزلة وحظوة، قال: وقد يكون أو بمعنى الواو فيكون لأهل المدينة شفيعاً وشهيداً...'([9]).**

**14- أن المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون: فعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم، ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم، ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون رواه البخاري (1875)، ومسلم (1388) قال الإمام النووي رحمه الله: 'معناه الإخبار عمن خرج من المدينة متحملاً بأهله، باساً في سيره، مسرعاً إلى الرخاء في الأمصار التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بفتحها، قال العلماء: في هذا الحديث معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم، وأن الناس يتحملون بأهليهم إليها، ويتركون المدينة، وأن هذه الأقاليم تفتح على هذا الترتيب، ووجد جميع ذلك كذلك بحمد الله وفضله، وفيه فضيلة سكنى المدينة، والصبر على شدتها، وضيق العيش بها، والله أعلم'([10])، وقال ابن بطال رحمه الله: 'وقوله: والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون يعنى: لفضل الصلاة في مسجده التي هي خير من ألف صلاة فيما سواه، ولما في سكنى المدينة والصبر على لأوائها وشدتها، فهو خير لهم مما يصيبون من الدنيا في غيرها، والمراد بالحديث: الخارجون عن المدينة رغبة عنها، كارهين لها، فهؤلاء المدينةُ خير لهم، وهم الذين جاء فيهم الحديث ((أنها تنفى خبثها))، وأما من خرج من المدينة لحاجة، أو طلب معيشة، أو ضرورة ونيته الرجوع إليها؛ فليس بداخل في معنى الحديث، والله أعلم'([11]).**

**15- أنه لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها: فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد رواه مسلم (1381).**

**16- ومن فضائلها أن فيها مسجده صلى الله عليه وسلم وبه الروضة الشريفة: وقد وردت في فضله أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام رواه البخاري (1133)، ومسلم (1394)، وقال عن الروضة: ((ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي)) رواه البخاري (1138) ومسلم (1391).**

**17- ومن فضائلها دفن أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم بها: وأفضل هذه الأمة، وكثير من خير سلفها من الصحابة، ومن بعدهم.**

**نسأل المولى عز وجل أن يحبب إلينا المدينة، وييسر لنا اكتساب فضائلها؛ إنه على كل شيء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

* **زيارة المسجد النبوي**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:**

**فقد أعطى الله سبحانه وتعالى لمسجد نبيه صلى الله عليه وسلم فضائل كثيرة، ومزايا عظيمة؛ جدير بمن أراد أن ينالها زيارة هذا المسجد في موسم الحج أو غيره.**

**فمسجد النبي صلى الله عليه وسلم هو ثاني ثلاثة مساجد يشرع شدُّ الرحال إليها للصلاة والعبادة كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: ((لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى رواه البخاري (1132) ومسلم (1397)؛ لذا فإنه يسنُّ للحاج أن يزور مسجد النبي صلى الله عليه وسلّم، ويصلي فيه قبل الحج أو بعده، مع العلم أن هذه الزيارة ليست من شروط الحج، ولا أركانه، ولا واجباته، ولا تعلُّق لها به[1]، ولكن ما دام أنه قد قطع المسافات الطويلة، وتكبد المصاعب؛ فقد استُحب له ذلك، وكذا الصلاة فيه، إذ ربما لا يتسنى له المجيء مرة أخرى.**

**وينبغي على الحاج إذا ما أراد أن يزور المدينة أن ينوي زيارة المسجد النبوي لا زيارة القبر النبوي؛ لأن شد الرحال على وجه التعبد لا يكون لزيارة القبور، وإنما يكون للمساجد الثلاثة. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**

**فإذا ما وصل إلى المسجد النبوي قدَّم رجله اليمنى لدخوله، وقال: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك [3]، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم[4]، ثم إذا دخل المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين لقول النبي صلى الله عليه وسلّم: ((وإذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يُصلي ركعتين رواه البخاري (1110)، ومسلم (714).**

**وليتحرَّ العبدُ الصلاةَ في الروضة التي هي ما بين منبره صلى لله عليه وسلم وحجرته التي فيها قبره إن تيسر له ذلك من أجل الفضيلة الواردة في حديث عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة رواه البخاري (1137)، ومسلم (3434)، فإن لم يتيسر له صلى في أي جهةٍ تتيسر له من المسجد، وهذا في غير صلاةِ الجماعة، أما في صلاة الجماعة فليُحافظ على الصف الأول الذي يلي الإمام لأنه أفضل لقول النبي صلى الله عليه وسلّم: ((خير صفوف الرجال أولها رواه مسلم (440)، وقوله صلى الله عليه وسلم: لو يعلمُ الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا رواه البخاري (590)، ومسلم (437).**

**ثم بعد ذلك يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويقف أمام قبره بأدب ووقار، وخفض صوت، ثم يسلم عليه صلى الله عليه وسلم قائلاً: ((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته رواه البخاري (797)، ومسلم (402)، أو يقول: 'السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته'[5]؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام [6]، وإن قال: 'أشهد أنك رسول الله حقّاً، وأنك قد بلّغت الرسالة، وأدّيت الأمانة، وجاهدت في الله حق جهاده، ونصحت الأمة، فجزاك الله عن أمتك أفضل ما جزى نبياً عن أمته'، فلا بأس؛ لأن هذا كله من أوصافه صلى الله عليه وسلم[7].**

**ثم يأخذ ذات اليمين قليلاً فيسلم على أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، ويدعو له بما يناسبه، ثم يأخذ ذات اليمين قليلاً أيضاً فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويترضى عنه، ويدعو له[8]، فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سلَّمَ على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه لا يزيد غالباً على قوله: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[9]، ثم ينصرف.**

**ولا يجوز لأحد أن يتقرب إلى الله بمسح الحجرة، أو الطواف بها، ولا أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم قضاء حاجته، أو شفاء مريضه، ونحو ذلك؛ لأن ذلك كله لا يُطلَب إلا من الله وحده.**

**ولا تزور المرأة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا قبر غيره ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لعن زوَّارات القبور[10]، لكن تزور المسجد، وتتعبد لله فيه رغبة فيما فيه من مضاعفة الصلاة، وتسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهي في مكانها؛ فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهي في أي مكان كانت؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم [11]، وقال صلى الله عليه وسلم: إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام [12]. وقد قال الشيخ ابن باز رحمه الله عن زيارة النساء للقبور: ' وقول بعض الفقهاء: إنه استثني من ذلك قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما - قول بلا دليل، والصواب أن المنع يعم الجميع، يعم جميع القبور حتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحتى قبر صاحبيه رضي الله عنهما. وهذا هو المعتمد من حيث الدليل. ' [13]**

**نسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه، وأن يجعل أعمالنا في مرضاته إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.**

* **فضل مسجد قباء وزيارته**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:**

**'لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وصل إلى قرية قباء في بني عمرو بن عوف قبل أن يصل إلى المدينة في شهر ربيع الأول؛ على كلثوم بن الهدم، وكان له مربد، فأخذه منه، وأسس مسجد قباء؛ وهو أول مسجد أسس على التقوى'[1].**

**ويعتبر هذا المسجد من أبرز المساجد في الإسلام لعدة خصائص تميَّز بها عن غيره ومن جملتها:**

**- أنه أول مسجد بُني في الإسلام.**

**- أن فيه وفي أهله نزلت الآية لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (سورة التوبة:108) وهذه الآية تشهد لهذا المسجد العظيم بالعظمة والخير والبركات، فهو المسجد الذي أسس على التقوى، وإن كان قد رُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: 'دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت: يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفاً من حصاء فضرب به الأرض، ثم قال : هو مسجدكم هذا لمسجد المدينة' رواه مسلم (1398)، وفي رواية: 'تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو مسجدي هذا [2] ، وفي رواية أخرى قال: وفي ذاك خير كثير [3] ؛ غير أنه قد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية فيهم [4] ، وليس بين الحديثين تعارض، فالمسجدان: المسجد النبوي ومسجد قباء كلاهما أسس على التقوى من أول يوم، 'فمسجد قباء أسس من أول يوم نزل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم تلك القرية، وكذلك مسجد المدينة أسس من أول يوم وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فكلاهما أسس من أول يوم' [5] .**

**- أنه قد ثبت عن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في مسجد قباء كعمرة إلى بيت الله الحرام فعن أسيد بن ظهير الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الصلاة في مسجد قباء كعمرة [6] ، وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة [7] .**

**- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي إلى قباء تارة راكباً، وتارة ماشياً؛ فيصلي فيه ركعتين، وكان يفعل ذلك كل يوم سبت فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قباء راكباً وماشياً، زاد ابن نمير فيصلي فيه ركعتين رواه البخاري (1194)، ومسلم (1399)، وعند البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً، وكان عبد الله رضي الله عنه يفعله) رواه البخاري (1193).**

**- وقد جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم ما يدل على اهتمامهم بالصلاة فيه، والحث عليها فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لَأَنْ أصلي في مسجد قباء أحب إلي من أن أصلي في بيت المقدس [8]، وسُئِل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن حكم الذهاب إلى مسجد قباء كل يوم سبت مشياً على الأقدام، أو راكباً أحياناً، هل يشرع هذا أم لا؟ فأجاب: 'الذهاب إلى مسجد قباء في المدينة كل يوم سبت من السنَّة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله، وهذا من حكمته؛ لأن الله تعالى قال له: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِِ (التوبة:108)، والمسجدان: النبوي والقبائي كلاهما أسس على التقوى من أول يوم، مسجد قباء من أول يوم نزل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قباء، ومسجد المدينة من أول يوم وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فكلاهما أسس من أول يوم، لكن لا شك أن المسجد النبوي أفضل، لهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يجعل يوم الجمعة للمسجد النبوي، ويوم السبت لمسجد قباء، فإذا تيسر لك أن تزور قباء كل يوم سبت راكباً أو راجلاً بحسب ما تيسر لك، وتخرج من بيتك متطهراً، وتصلي فيه ما شاء الله؛ فهو خير' [9] .**

**وبناء على هذا فمن أكرمه الحق جل وعلا من المسلمين بزيارة المسجد النبوي، وشرَّفه بالسلام من قرب على نبيه صلى الله عليه وسلم، وحلَّ بالمدينة الفاضلة يتمتع ببركاتها، وينعم بالجوار فيها؛ فلا يحرمن نفسه من زيارة هذا المسجد الفاضل للحصول على الأجر الموعود على زيارته، والصلاة فيه بقوله صلى الله عليه وسلم: كان له كأجر عمرة في الحديث الآنف الذكر.**

**أما أن يأتيه استقلالاً، ويشدَّ لزيارته من بلده رحالاً فليس بالأمر المشروع، بل هو من الممنوع بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى رواه البخاري (1189)، ومسلم (1397)، ولم يكن مسجد قباء من بينها، فليسعنا ما شرع. قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: 'وإذا زار المسلم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم دخل في ذلك على سبيل التبعية زيارة قبره صلى الله عليه وسلم، وقبر صاحبيه, وقبور الشهداء، وأهل البقيع, وزيارة مسجد قباء من دون شد الرحل, فلا يسافر لأجل الزيارة، ولكن إذا كان في المدينة شُرع له زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر صاحبيه, وزيارة البقيع والشهداء، ومسجد قباء, أما شد الرحال من بعيد لأجل الزيارة فقط فهذا لا يجوز على الصحيح من قولي العلماء ...'[10] .**

**والله تعالى أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

**13- صحة الحاج**

* **الاستعدادات الصحية قبل الحج**

**أخي الحاج: إليك مجموعة من الإرشادات الصحية أثناء استعدادك لتأدية فرض الحج:**

**أ. نصائح عامة:**

**- لا بد من مراجعة الطبيب قبل السفر للحصول على المستجدات في الإجراءات الوقائية، والتطعيمات المطلوبة، ولا تنس أن تتأكد من استقرار حالتك الصحية، وقدرتك على الحج؛ خاصة إذا ابتليت بمرض مزمن - عافانا الله وإياك -.**

**- احرص على حمل بطاقة تشخيصية لمرضك إن كنت مصاباً بمرض مزمن؛ لتسهل عملية إسعافك في حالة إصابتك - لا قدَّر الله -، أو شعرت بمضاعفات للمرض، ويفضل أن تكون سواراً حول المعصم.**

**- يفضَّل أن تحمل تقريراً مفصَّلاً يوضح التشخيص والعلاج والجرعات لكل دواء إذا احتاج مرضك إلى المتابعة والرعاية.**

**- ينبغي أن تأخذ كمية كافية من الأدوية التي تستخدمها لمعالجة مرضك؛ لأنه قد يصعب عليك تأمينها في المشاعر أو لا تكون متوفرة.**

**ب. التطعيمات الخاصة بالحج:**

**أيها الحاج: إن أخذ التطعيم بفترة كافية قبل الحج أمر ضروري لوقاية الحاج والحجاج من الأمراض بإذن الله، وهناك عدد من التطعيمات يوصى بأخذها قبل الحج؛ منها المتحتم على الحاج، ومنها الاختياري نلخصها في التالي:**

**1- التطعيم ضد الحمى الشوكية (التهاب السحايا):**

**وهو من التطعيمات التي تشترط حكومة المملكة العربية السعودية أخذها قبل السفر للحج، والحمى الشوكية من الأمراض المعدية الخطيرة، وتنتقل بواسطة الرذاذ المتطائر من الفم والأنف، وتصيب أغشية المخ والنخاع الشوكي، وتؤدي غالباً إلى الوفاة - لا قدَّر الله - إن لم تعالج، وقد تؤدي إلى إعاقات عصيبة في حالة تأخر العلاج.**

**واللقاح عبارة عن جرعة واحدة (نصف ملل) تحقن تحت الجلد، وإليك هذه النقاط المهمة المتعلقة بهذا اللقاح:**

**- يستخدم التطعيم ضد جرثومة تسمى (مننجوكوكس)، وهي أشهر أسباب الحمى الشوكية وأخطرها، وهو عبارة عن تطعيم رباعي التكافؤ ACYW135، ويعطى للبالغين والأطفال من سن سنتين وأكثر، والأطفال ما بين عمر ثلاثة شهور وسنتين يتم إعطاؤهم جرعتين من لقاح (A)، وفي حالة عدم توفر اللقاح يعطون العلاج الواقي.**

**- يجب أن يتم اللقاح قبل عشرة أيام من السفر على الأقل، ويستمر مفعوله ثلاث سنوات؛ يتم التطعيم بعدها عند السفر مرة أخرى للحج.**

**2- التطعيم ضد الأنفلونزا:**

**وهي تصيب نسبة كبيرة من الحجاج، وتؤثر على أدائهم للمناسك، وتصيبهم بالتعب والإرهاق العام، وقد تستمر معهم حتى بعد إكمالهم الحج، ولذلك هناك تطعيم للإنفلونزا ينصح بأخذه ولكنه اختياري، ويتأكد أنه مطابق لتوصيات الجهات الصحية في المملكة، والتي تصدر سنوياً بهذا الخصوص.**

**3- التطعيم ضد الالتهابات الرئوية:**

**ويسمى لقاح (نيمو كوكس)، وهو لقاح خاص لا يعطى لكل الحجاج، ولكنه يعطى للمرضى المصابين بالأنيميا المنجلية، أو الفشل الكلوي، أو نقص المناعة، أو المرضى الذين تم استئصال الطحال لديهم، كما يمكن إعطاؤه للحجاج كبار السن، أو الذين يعانون من أمراض مزمنة في الكبد، أو القلب، أو الرئة.**

**4- التطعيم ضد الحمى الصفراء:**

**ويعطى للمرضى القادمين من المناطق المنتشر فيها المرض كالمناطق الأفريقية شبه الصحراوية، وبعض الدول في أمريكا الجنوبية.**

**5- تطعيم الأطفال:**

**ويتأكد من استكمالهم للتطعيمات الأساسية ضد أمراض الطفولة الرئيسة، بالإضافة إلى التطعيمات الخاصة بالحج[1]**

**ختاماً:**

**أخي الحاج: تأكد أنك المستفيد الرابح إن سرت وفق هذه التعليمات، وعملت بهذه الإرشادات، وكلنا لك رجاء ودعاء أن يحفظك الرب بحفظه، ويكلأك بعينه، ويقيك شر الآفات والأسقام.**

**رافقتك السلامة في حجك ومحلك.**

* **الاستعدادات الصحية أثناء الحج**

**أخي الحاج: إذا كنت الآن قد بدأت شعائر حجك فهنيئاً لك التوفيق والاصطفاء، وننصحك أن لا تغفل هذه الإرشادات الطبية أثناء تنقلك بين المشاعر فهي عون لك على السلامة بإذن الله تعالى:**

**أولاً: إرشادات عامة:**

**وتتمثل في الآتي:**

**- خذ قسطاً وافراً من الراحة قبل وبعد كل شعيرة من شعائر الحج بهدف إعادة الحيوية للجسم، وبما يعينك على تأدية بقية المناسك.**

**- حافظ على نظافة جسمك؛ لأنها عنصر مهم للوقاية من الأمراض المنتشرة في موسم الحج.**

**- أكثر من شرب السوائل كالماء والعصير واللبن وغيره.**

**- في حالة شدة الحرارة يفضل أن تجتنب الطواف والسعي وقت الظهيرة، فإن كان ولا بد فاستخدم المظلة لتقيك من أشعة الشمس اللافحة.**

**- امتنع عن تناول الأغذية المكشوفة المعرضة للذباب والأتربة، واستعمل الأغذية المغلفة، أو المحفوظة بقدر الإمكان، مع التأكد من تاريخ صلاحيتها.**

**- يفضل في الأطعمة أن تتناول الفواكه والأطعمة المسلوقة المفيدة للجسم، وغير المهيجة للأمعاء، والبعد قدر الإمكان عن الأطعمة المعلبة المحفوظة لفترات زمنية طويلة.**

**- توجه لأقرب مركز صحي في حال شعورك بمرض أو بألم معين، ولا تتساهل في أمر المرض فيتفاقم ويشتد، حينها يتأخر برء المرض ويتعسر عليك العلاج وتعظم تكاليفه، ويؤثر هذا سلباً على أدائك مناسك الحج.**

**- ارتدِ غطاء للرأس -في غير أوقات إحرامك- ونظارات شمسية على العين في حال التعرض لأشعة الشمس، واستعمل الكريم الخاص بحماية الجلد؛ وذلك للوقاية من ضربة الشمس وبعض الأمراض الجلدية.**

**- في حالة الاضطرار لأخذ حقن يجب استخدام الحقن المعقمة، وفي حالة الاحتياج الضروري لنقل الدم يجب التأكد من إجراءات فحص الدم احترازاً من الحاملين لمرض نقص المناعة، أو الالتهاب الكبدي الفيروسي...**

**ثانياً: حقيبة الإسعافات الطبية:**

**والتي تحتوي على مجموعة من الأدوية التي ربما تحتاجها أثناء حجك، وتحوي:**

**أ/ أدوية عامة تشمل:**

**- خافض الحرارة مثل الباراسيتامول.**

**- مضاد السعال، وطارد البلغم.**

**- كريمات وفازلين وبودرة.**

**- كريمات ومراهم لإصابات العضلات.**

**- كريمات للجروح.**

**- الأملاح التعويضية بالفم مثل: أملاح الصوديوم والبوتاسيوم، والتي قد يحتاجها الحاج لضربات الشمس، والإرهاق الحراري، أو نوبات الإسهال الشديدة.**

**أدوية خاصة:**

**لأصحاب بعض الأمراض المزمنة مثل:**

**أدوية السكري، وارتفاع ضغط الدم، والربو، وأمراض القلب وغيرها من الأمراض المزمنة حسب حالة كل حاج بكمية كافية.[1]**

**أخي الحاج: كل هذا لأجل صحتك في الحج فلا تنس، مع رجائنا لك من الله بدوام الصحة ومنتهى العافية.**

**عشت الخير، وكفيت الضير.**

* **الصحة مطلب**

**الصحة من النعم العظيمة التي منَّ الله عز وجل بها على خلقه، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ رواه البخاري برقم (6049).**

**ومعلوم من الشرع الحنيف أن الصحة البدنية والعقلية شرط لكمال أهلية الإنسان، وأدائه التكاليف الشرعية، لذا يعدُّ المرض من عوارض الأهلية التي تُسقط عن المريض بعض التكاليف.**

**وقد اشترط الفقهاء الصحة في عدة أحوال منها: الإمامة الكبرى، والجهاد، والحج الذي هو موضوعنا هنا، والحدود، والقصاص، والرخص.**

**والمتفحص لمنهج الإسلام في التعامل مع الإنسان عندما يقارنه بغيره من مناهج الأديان السماوية المحرفة، أو الملل الوثنية الباطلة، أو الأنظمة الأرضية الملحدة؛ يجد الفرق كبيرٌ، والبون شاسعٌ، فالإسلام يتعامل مع الإنسان تعاملاً شاملاً يلبي جميع متطلباته الجسدية والعقلية والروحية دون أن تطغى إحداها على الأخرى، مما يجعل الإنسان في حالة استقرار دائم، ورضى كامل، وتقبل تام.**

**ومن جملة تلك المتطلبات التي عهد الشرع الحنيف إلى الاعتناء بها، والوصاية عليها؛ صحة الإنسان، فقد عدَّها واحدة من المطالب المهمة التي يجب المحافظة عليها. يقول تعالى: وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ (سورة الأعراف:31)؛**

**لذا كانت المحافظة على الصحة في الحج مطلب شرعي؛ ذلك لكي يتمكن الحاج من تأدية الشعائر، والانتقال بين المشاعر وهو في كامل قواه، ومنتهى عافيته، فالإنسان بصحته يؤدي ما لا يؤديه بدونها.**

**وفي واقع الأمر فإن الحج كما يقول أرباب الاختصاص يعتبر أحد الفرائض التي تسهم في بناء الكيان الصحي للإنسان على أساس سليم؛ وذلك لأنه ضمن منظومة من العبادات المتنوعة التي اشتمل عليها الدين الإسلامي، وتحقق بمجموعها استقرارا نفسياً يعود أثره على الإنسان جسدياً وعقلياً وروحياً.**

**وتجدر الإشارة إلى أن زحام الحج يعتبر محلاً لانتشار بعض الأمراض الوبائية، وهي بفضل الله أمراض يمكن الوقاية منها، أو التحكم فيها، وتفادي خطرها وضررها.**

**ولعل من المناسب أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أسباب انتشار تلك الأمراض بين الحجاج؛ ليتخذ الحاج الوقاية الكافية منها، وهي كالأتي:**

**1- ازدحام الحجاج في المشاعر وفي أماكن أداء العبادة مثل: الطواف، والسعي، ورمي الجمرات وغيرها.**

**2- عدم المحافظة على النظافة الشخصية، أو النظافة العامة، أو نظافة المأكل والمشرب.**

**3- الإجهاد بسبب المشي الكثير، أو السهر، أو التعرض لضربات الشمس.**

**4- وجود أمراض مسبقة لدى الحاج، وأدى الحج إلى تفاقمها، وزيادة مضاعفاتها.**

**5- عدم الأخذ بالأسباب الوقائية من الحصول على التطعيمات الموصى بها، أو عدم الأخذ بالتعليمات الصحية المناسبة لكل حاج.**

**6- قلة الوعي الصحي لدى كثير من الحجاج القادمين من مناطق مختلفة.**

**7- التعرض لإصابات بسبب الازدحام، أو الذهاب إلى الأماكن الخطرة في الجبال، والتعرض لحوادث السير.**

**8- قدوم كثير من كبار السن والطاعنين في العمر إلى الحج؛ مما يعرضهم للأمراض والإصابات.**

**9- الأنانية لدى كثير من الحجاج، وعدم احترام حقوق غيرهم، مما يجعلهم يتصرفون بتصرفات تعرض غيرهم للخطر، أو الإصابة بالأمراض المختلفة.**

**ولذلك يفضل أن تكون هناك جهود صحية مشتركة في توعية حجاج بيت الله الحرام تبدأ بأشهر قبل الحج، وتتبناها الجهات الصحية في كل بلد بالتعاون مع السفارة السعودية فيه، وتتولى الجهات الصحية في أرض الحرمين - نتيجة للخبرة الصحية لديها بأحوال الحج - تزويدهم بالمعلومات الصحية الكافية، وتكون هناك جهود توعوية مكثفة من خلال وسائل الأعلام المختلفة، ولو سخرت الفضائيات العربية في مثل هذه الأوقات جزءاً من بثها لتوعية الحجاج بالجوانب الصحية في الحج؛ لكان خيراًً لها وأنفع من برامج تهدم الأخلاق والعقائد.**

**طاب مقامك، ودامت عافيتك.**

* **الآفات الأكثر شيوعاً في الحج**

**أخي الحاج:**

**من المناسب أن نلفت نظرك إلى الأمراض الأكثر انتشاراً في موسم الحج، والتي قد تواجهها - لا قدَّر الله -، ثم كيفية التعامل معها، والانتباه من أسبابها، مع العلم أن هذه الأمراض يجمعها عامل مشترك ألا وهو شدة الازدحام:**

**1- الإنهاك الحراري: ويحدث نتيجة نقص الماء والملح في الجسم، أو نقص أحدهما نتيجة للإجهاد الشديد، ويصاحبه عادة إحساس بالإرهاق، والعطش، والغثيان، وارتفاع في درجة الحرارة، وتشنج في عضلات البطن والرجل، وعلاجه يكون بإعطاء محلول ملحي على فترات، مع تدليك العضلة المتشنجة برفق، ونقل المصاب إلى مكان مظلل، وتبريد جسمه برشه بالماء.**

**2- ضربات الشمس: وأكثر الحجاج إصابة بها هم سكان المناطق الباردة، وكبار السن، ومرضى السكري، والفشل الكلوي، والإسهال، وأعراضها: إغماء، وتشنجات نتيجة ارتفاع درجة حرارة الجسم، وعلاجها يكون بالمحافظة على تنفس المصاب؛ لأنه عادة يكون فاقداً للوعي، مع عدم إعطائه أي سوائل عن طريق الفم لمنع وصولها إلى الرئتين، وينبغي نقله إلى أقرب مركز لعلاج ضربات الشمس.**

**3- الحروق الجلدية الشمسية: وتحدث نتيجة تعرض الجلد لأشعة الشمس المباشرة لفترة طويلة، وتبدأ بالاحمرار، يتلوها ظهور فقاقيع مائية، يصاحبها ألم شديد، وعلاجها يتم بنقل المصاب إلى مكان مظلل، مع استخدام المكمدات الباردة، ووضع مرهم للحروق مثل: سلفات الفضة، وتغطيتها بشاش طبي معقم جاف.**

**4- النزلات المعوية: تحدث نتيجة تناول الأطعمة الملوثة عن طريق الفم، وعدم نظافة الأطعمة، وأعراضها: حدوث قيء، أو إسهال، أو قيء وإسهال معاً مصحوبة بالألم في البطن، أما علاجها فهو: الإكثار من شرب السوائل والعصائر، واستخدام محلول معالجة الجفاف بإذابته في ماء معقم وشربه، وفى حالة استمرار الإسهال وشدته يمكن تناول كبسولتين من عقار 'الإيموديوم'، وهو كفيل بمنع الإسهال في الحال إن شاء الله، إضافة إلى ذلك يجب غسل اليدين بالماء والصابون بعد استعمال الحمام لمنع انتقال العدوى، ومراجعة المركز الصحي عند استمرار الإسهال لأكثر من 24 ساعة، أو عند حدوث إسهال مصاحب بمخاط أو دم عند حدوث حمى.**

**5- حالات الإغماء وخاصة عند مرضى السكري: إذ يحدث أحياناً أن يصاب الحاج بالإغماء، وخاصة إذا كان مريضاً بالسكري، ويجب هنا التفريق بين الإغماء نتيجة لزيادة نسبة السكر في الدم، والإغماء نتيجة للنقص الشديد في مستوى السكر، ففي الحالة الثانية يعاني المريض من تشنجات، ورعشات بالجسم تكون واضحة مصحوبة بعرق غزير، ويمكن هنا ترطيب حلق المريض بمصدر سريع للسكر مثل عسل النحل قبل إعطائه جلوكوز عن طريق الوريد، وإذا كان المريض في حالة إدراك يجب عليه تناول ما يعادل 15 مجم من المواد النشوية سريعة الامتصاص مثل: نصف كوب من عصير الفاكهة، أو كوب من الحليب، أو 5 قطع من الحلوى (السكاكر)، أما إذا كان الإغماء نتيجة لارتفاع السكر بالدم فيجب معالجته بحرص، مع سرعة نقله إلى أقرب مركز صحي.**

**6- الرشح والزكام: وسببهما حمات راشحة (فيروسات) متنوعة، والوقاية ممكنة عن طريق تجنب التبدل الحراري المفاجئ، والابتعاد عن مواجهة التكييف والتبريد المباشر، وتجنب العطاس والسعال في مواجهه الآخرين، وإلقاء المناديل وإتلافها في أماكن خاصة، والابتعاد ما أمكن عن لمس المصابين بالمرض، مع استشارة الطبيب للعلاج.**

**7- التهاب الطرق التنفسية العليا: سواء كان الالتهاب صحياً أو جرثومياً فإن أسبابه مشابهة لما سبق ذكره، غير أن الوقاية يجب أن تطبق بصرامة أكبر، وفي حالات دقيقة قد تحصل بعض الإصابات بمرض يدعى 'ذات الرئة'، وتكون هنا الإصابة أبلغ خطورة، وتتطلب علاجاً صارماً.**

**8- داء السماط: ويحصل نتيجة التعرق الشديد، والاحتكاك المستمر لثنيات الجلد؛ مما يحدث انسلاخ واحمرار الجلد خاصة عند البدينين ولا سيما بين الفخذين، وتحت الإبطين، وتحت الثديين عند النساء، وتكون الوقاية بتخفيف حالة التعرق والاحتكاك بتجنب المشي طويلاً وقت الحر ما أمكن، وكذا لبس السراويل الداخلية الطويلة لمنع الاحتكاك - خارج أوقات الإحرام -، إضافة إلى استعمال المياه الباردة لغسيل المنطقة المعرضة للاحتكاك، واستعمال بعض الوصفات والمراهم الطبية.**

**9- تشقق القدمين: ويظهر نتيجة المشي المستمر بالأحذية الكاشفة للأعقاب - الصنادل -، والتعرض للأتربة والغبار؛ مما يؤدي إلى جفاف الطبقة المتقرنة من الجلد والتي عادة ما يحدث بعدها التشقق، والوقاية منه بغسل القدمين وتجفيفهما جيداً، ولبس الجوارب - خارج أوقات الإحرام - مما يخفف تعرض القدمين للأتربة والأغبرة، والضغط بجميع أجزاء باطن القدم على الأرض، مع استعمال مراهم مرّطبة.**

**10- الآلام والقولنجات الكلوية: نتيجة فقدان السوائل، والحر الشديد؛ يتعرض البعض لحدوث القولنجات الكلوية، وآلام الخاصرتين، والحصى الكلوية، أو ذلك لزيادة ترسب الأملاح، والتبلورات بالطرق البولية نتيجة زيادة كثافة البول لا سيما عند من لديهم استعداد لذلك، ولتجنب هذه الآلام ينصح الحاج بشرب السوائل بكمية كبيرة لا تقل عن 3 - 4 لترات يومياً، ويتجنب التعرض للتعرق الغزير، والحر الشديد قدر الإمكان، ويحاول مراجعة الطبيب عند ظهور الأعراض، وكذا اتباع الإرشادات الطبية لمن لديه سبب مهيأ لحدوث الحصيات الكلوية.**

**ومن النصائح الطبية العامة التي يجب على الحاج أخذها بعين الاعتبار:**

**1- اتباع الإرشادات الصحية لاسيما من جهة النظافة العامة والخاصة.**

**2- تناول الأطعمة والسوائل والمشروبات والألبان النظيفة والمعقمة.**

**3- تجنب التعرض للحر وأشعة الشمس المباشر، واستعمال المظلات، والاتقاء بأماكن الظل؛ مع محاولة التلازم بين التكييف والتبريد بشكل مناسب، وبدون تعرض لتيار المكيف المباشر.**

**4- تبليل الجسم والرأس والأطراف بالماء البارد بين الفينة والأخرى.**

**5- استشارة الطبيب، ومراجعة المراكز الطبية القريبة بمجرد الشعور بأي إنهاك أو إعياء، أو أعراض مرضية لأخذ التدابير العلاجية والوقائية في مرحلة المرض المبكرة.**

**6- الانتباه والإسراع بنقل المريض لأقرب مركز صحي أو مستشفى خاصة بحالة ضربة الشمس، مع وضعه في جو بارد، واستعمال كمادات باردة.**

**أخي الحاج:**

**تعلم هذه الأمور حتى لا تكون فريسة سهلة، ولقمة سائغة للمرض والوباء الفتاك في الحج - لا قدر الله -، وفقك الله لمرضاته، وأعانك على أداء فريضته، والله يرعاك[1].**

* **لسلامتك في الحج**

**أخي الحاج الكريم: نسأل الله تعالى أن يرزقك دوام الصحة، ويمتِّعك بمزيد عافية، وهنا جملة من النصائح نقدمها لك لتحافظ على سلامتك حتى تنتهي من أداء مناسك حجك، والله يرعاك:**

**- تجنب البقاء في المواقع المعرضة لتساقط الصخور.**

**- تجنب تماماً النوم تحت 'الحافلات' والسيارات؛ لأنه يعرضك للخطر ولو لم تشعر.**

**- تجنب ضربات الشمس الحارقة بالمظلة الواقية وكثرة السوائل.**

**- تجنب تخزين المواد القابلة للانفجار والحريق.**

**- من أجل صحتك والآخرين تجنب ملوثات الغذاء.**

**- لا توقد ناراً داخل خيمتك، بل استخدم الأماكن المخصصة للطهي.**

**- تعرَّف حيث تقيم على أقرب مخرج للطوارئ.**

**- لا تحمّل التمديدات الكهربائية فوق طاقتها.**

**- احتفظ بطفاية حريق صغيرة للضرورات.**

**- في حالة حدوث حريق - لا قدر الله - اعمل على فصل التيار الكهربائي بسرعة.**

**- إذا شاهدت حريقًا ولو صغيراً فبلِّغ عنه فوراً.**

**- تجنب نصب الخيام على الجبال والمرتفعات؛ لأنه يعرضك للخطر المفاجئ.**

**- افصل التيار الكهربائي عند مغادرتك لمكان إقامتك.**

**- تجنب الركوب فوق أسطح الحافلات والسيارات؛ لأنه يعرضك للخطر.**

**- عند قضاء الحاجة استخدم الأماكن التي خصصت لهذا الغرض؛ حتى لا تؤذي نفسك والآخرين.**

**- ترفَّق بالضعفاء والنساء والمرضى ولا تزاحمهم؛ لأن الله سيسألك عنهم.**

**- تجنَّب الزحام الشديد والتدافع؛ حتى لا تعرض نفسك والآخرين للخطر.**

**- تجنب تسلق الأحجار والصخور؛ فإنه يعرضك للخطر.**

**- احذر النوم أو الجلوس في الأنفاق؛ لأنها ليست مخصصة لذلك.**

**- اجتنب افتراش الأرصفة والطرقات فإن ذلك يسهم في انتشار الحوادث، وعرقلة سير سيارات الإسعاف والدفاع المدني، بالإضافة إلى انتشار الأوبئة، ويعرض الحجاج إلى الإجهاد والإنهاك الحراري وضربات الشمس.**

**- حذار من كمامات الأنف والفم فهي تجمع كميات كبيرة من الأتربة والغبار أثناء استخدامها لمدة طويلة، دون وجود ما يثبت علمياً أنها تقي من الجراثيم والغبار، وإذا كان ولا بد من استخدامها فينصح بتغييرها بصفة مستمرة، وللمعلومية فهذه النوعية من الكمامات لم تعد لمثل هذا الاستخدام الشديد.**

**- انتبه من الحلاقة غير الآمنة خاصة عند كثير ممن يزاولون الحلاقة عند الجمرات، أو بجوار الحرم؛ فإنهم ينقصهم كثير من أساسيات الوقاية؛ مما قد يسهم - لا قدر الله - في انتشار بعض الأوبئة، ومن أخطرها فيروس الإيدز، والفيروسات الكبدية من نوع (ب)و(ج)، فينصح باصطحاب أدوات حلاقة خاصة بالحاج مع كريم أو صابون الحلاقة، أو في أقل الأحول يضمن تغيير الموس بموس جديدة، وتعقم أداة الحلاقة أمام الحاج، والحذر من أن يطأ بقدميه الأمواس الملقاة على الأرض.**

**- اقلع عن التدخين فإنه مضر بإجماع علماء الطب، وفي الحج حيث ازدحام الناس، واختناق الأنفاس والتقارب في المساكن؛ فإن ضرر التدخين متعد ومتيقن للغير سواء بالخطورة الصحية، أو بخطورة إمكانية إشعال الحرائق، والحج فرصة كبيرة للإقلاع عنه، والتوبة منه، ومن تركه لله أبدله الله خيراً منه.**

**أخي الحاج: هذه لسلامتك فلا تنساها.**

* **لصحتك بعـد الحج**

**أيها الحاج: هذه بعض النصائح المتعلقة بصحتك وصحة من حولك بعد الحج بشكل خاص؛ فارعها واعمل بها تنفعك إن شاء الله:**

**- لعلك قد أخذت تطعيم الحمى الشوكية، أو دواءً وقائياً لها عند بدئك الحج؛ وهذا يحميك بإذن الله من هذا الداء الخطير , لكن مع انتهاء موسم الحج يمكن أن تصبح حاملاً لمكروب الحمى الشوكية حتى مع أخذك السابق للتطعيم أو الدواء الوقائي, وبالتالي قد ينتقل هذا المكروب إلى من معك في المنزل عندما تعود إليهم, وقد تحدث نتيجة لذلك إصابة بعضهم بالحمى الشوكية, لذا ينصح لوقايتهم أن تأخذ مع بداية عودتك إلى موطنك دواء يقضي على هذه الجرثومة مثل السيبروفلوكساسين (ciprofloxacin) جرعة واحدة، أو الريفامبيسين (rifampicin) لمدة يومين، مع ملاحظة أن دواء السيبروفلوكساسين لا يعطى للحوامل والأطفال, وبالنسبة للريفامبيسين فتفضل استشارة طبية قبل إعطائه للحامل. وعلى كل فلا تأخذ دواء قبل استشارة طبيبك.**

**- بعد الحج إذا كنت مصاباً بالتهاب في الحلق والمجرى التنفسي فانتبه من أن تنقل العدوى إلى غيرك عن طريق الكحة أو السعال، واحرص أيضاً على تكرار غسل يديك حيث إن مثل هذه الأمراض يمكن أن تنتقل منك للآخرين عند ملامستهم ليدك التي ربما تكون قد تلوثت بإفرازات أو رذاذ من فمك وأنفك، ومن ثم يمكن أن ينقلها الآخرون إلى المجرى التنفسي العلوي لهم بعد أن يصافحوك.**

**- لا تنس أن تأخذ قسطاً كافياً من الراحة بعد تأديتك مناسك الحج، فذلك بإذن الله مما يساعدك على الشفاء إن أصبت بمرض، أو لاقيت شدة وإجهاداً.**

**- ربما اكتشفت في نفسك أثناء الحج مرضاً معيناً مثل السكر، أو ارتفاع ضغط الدم؛ لذا احرص على المتابعة، وأخذ اللازم له بعد عودتك من الحج.**

**- لعلك لاحظت أثناء فترة الحج، ومن مواقف مختلفة؛ أهمية اللياقة البدنية، والبعد عن السمنة، وهذه المواقف كفيلة لأن تكون دافعة لك في السعي إلى الرقي بصحتك البدنية، ولياقتك الرياضية، والبعد عن عوامل الخطورة التي تؤدي إلى ضعف صحة الإنسان، وسكون جسده الآفات والأسقام.**

**- أخيراً: وليس الأقل أهمية كما يقال صحتك الروحية التي تعتبر جزءاً أساسياً من مفهوم الصحة كما يقرر ذلك حتى أطباء الغرب وعلماؤهم، ونحن المسلمون ينبغي أن نكون أولى منهم في التركيز على الصحة الروحية التي لا غنى لأي مسلم على ظهر الأرض عنها، فبعد أن أنعم الله عز وجل عليك بأداء هذا الركن العظيم، وعشت تلك النفحات الإيمانية، وحلَّقت في الرحاب الروحانية، وغمرتك السعادة الربانية، فعشت رضي النفس، هادئ البال، تغمرك الطمأنينة، وتغشاك السكينة؛ حاول أن تحافظ على هذه المنح الإلهية، والهبات الربانية، حيث إن هذه الصحة الروحية عون لك في دنياك وزاد لك إلى آخرتك، وهي في ذات الوقت جزء هام من أجزاء الصحة الشمولي؛ لما تتركه من أثر كبير على جوانب الصحة الأخرى الجسدية والنفسية وقاية أو علاجاً.**

**فالله الله أيها الحاج أن يفوتك حصول هذا المغنم، فهو علامة لقبول عملك فاعلم، فحافظ عليه تحظى بأكرم النزل وتغنم.[1]**

**رعاك الله**